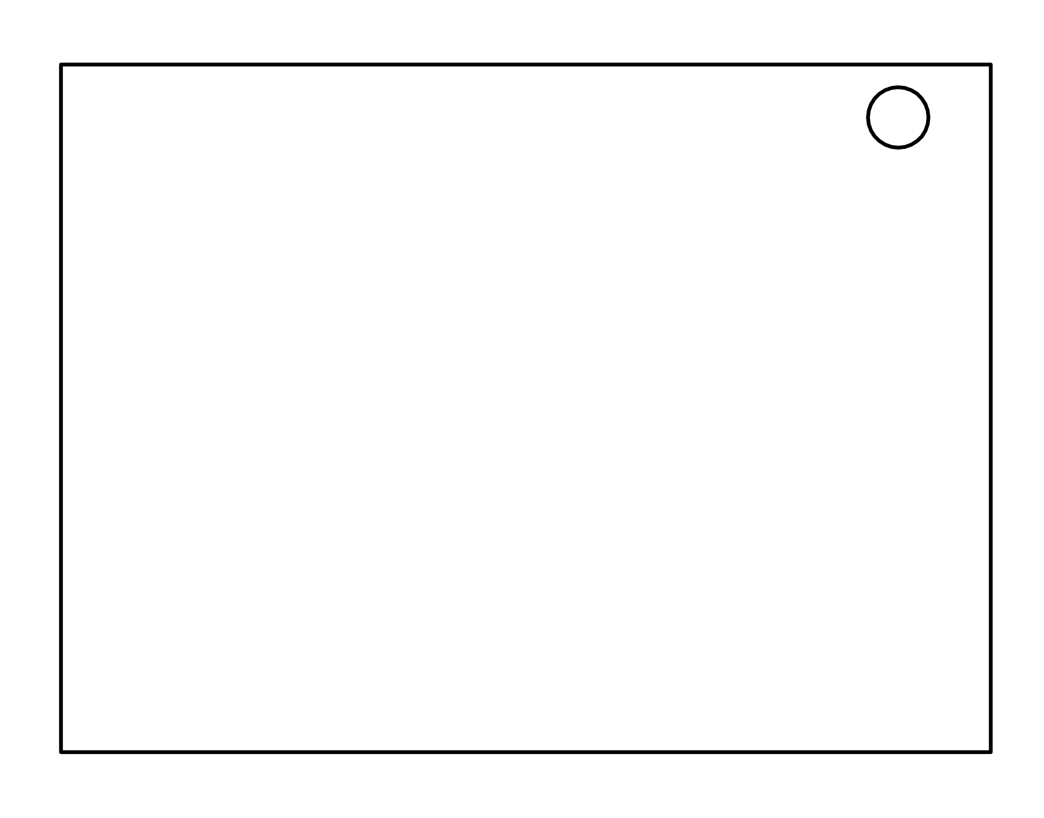
أسماء الله الحسنى



أسماء اللَّه الحسنى


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة أسماء الله الحسنى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد، ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

يقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة].

ويقول النبي ﷺ: **«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»**(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ). قَالَ: فَقَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»**(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد، أبو داود، والترمذي واللفظ له، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إلاّ الْجَنَّةُ»[١].

ولذا، فإن معرفة أسماء الله وصفاته؛ توجب حبَّه، وخوفه، ورجاءه، وقد قيل: (من كان بالله أعرف كان منه أخوف).

وأثنى الله على العلماء بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فَاطِر: ٢٨] لأنهم أعلم الناس بأسمائه، وصفاته، وأمره، ونهيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعرَاف: ١٨٠]. فَأَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى مِثْلُ: الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم، وَالْغَفُورِ الرَّحِيم، فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ هِيَ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى، وَهِيَ إِذَا ذُكِرَتْ فِي الدُّعَاءِ وَالْخَبَرِ يُرَادُ بِهَا الْمُسَمَّى. إِذَا قَالَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٧] فَالْمُرَادُ الْمُسَمَّى، لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتَوَكَّلُ عَلَى الْأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ أَقْوَالٌ؛ كَمَا فِي سَائِرِ الْكَلَامِ: كَلَامِ الْخَالِقِ وَكَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ)[٢].

ويقول شيخ الإسلام أيضًا: (وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى طَرِيقَتَيْنِ، فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: إِنَّ أَسْمَاءَهُ سَمْعِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، فَلَا يُسَمَّى إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ، فَإِنَّ هَذِهِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى التَّوْقِيفِ وَالِاتِّبَاعِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَا صَحَّ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ ثَابِتًا لَهُ، لَمْ يَحْرُمْ تَسْمِيَتُهُ بِهِ، فَإِنَّ الشَّارِعَ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْنَا ذَلِكَ، فَيَكُونُ عَفْوًا.

(١) أخرجه أبو داود، وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) الفتاوى (٦/١).

وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الثَّالِثُ؛ وَهُوَ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ أَنْ يُدْعَى بِالْأَسْمَاءِ، أَوْ يُخْبَرَ بِهَا عَنْهُ. فَإِذَا دُعِيَ لَمْ يُدْعَ إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ فَهُوَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ؛ فَإِذَا احْتِيجَ فِي تَفْهِيمِ الْغَيْرِ الْمُرَادَ إِلَى أَنْ يُتَرْجَمَ أَسْمَاؤُهُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِاسْمٍ لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُحَرَّمًا)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ: أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ)[٢].

وقال ابن القيم أيضًا: (وَمَنْ وَافَقَ اللَّهَ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، قَادَتْهُ تِلْكَ الصِّفَةُ إِلَيْهِ بِزِمَامِهِ، وَأَدْخَلَتْهُ عَلَى رَبِّهِ، وَأَدْنَتْهُ مِنْهُ، وَقَرَّبَتْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَصَيَّرَتْهُ مَحْبُوبًا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، عَلِيمٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ)[٣].

وقال أيضًا: (ولمحبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان والبرِّ والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت، ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم،

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٧).
(٢) الجواب الكافي (٣/ ١٨).
(٣) الجواب الكافي (١/ ٧٧).

إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعدِّيه طوره وحدَّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات؛ كالعلم والعدل والرحمة والإِحسان والصبر والشكر، فإِنها لا تنافي العبودية؛ بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إِذ المتصف بها من العبيد لم يتعدَّ طوره ولم يخرج بها من دائرة العبودية، والمقصود أنه سبحانه لكمال أَسمائه وصفاته موصوف بكلِّ صفة كمال، منزهٌ عن كلِّ نقص، له كلُّ ثناءٍ حسن، ولا يصدر عنه إِلا كلُّ فعلٍ جميل، ولا يسمى إِلا بأَحسن الأَسماءِ ولا يثنى عليه إِلا بأَكمل الثناءِ، وهو المحمود المحبوب المعظَّم ذو الجلال والإِكرام على كل ما قدره وخلقه، وعلى كلِّ ما أَمر به وشرعه.

ومن كان له نصيب من معرفة أَسمائه الحسنى واستقر آثارها في الخلق والأَمر، رأَى الخلق والأَمر منتظمين بها أَكمل انتظام، ورأَى سريان آثارها فيهما وعلم بحسب معرفته بها ما يليق بكماله وجلاله أَن يفعله وما لا يليق، فاستدل بأَسمائه على ما يفعله وما لا يفعله، فإِنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته، وكذلك يعلم ما يليق به أَن يأْمر به ويشرعه مما لا يليق به، فيعلم أَنه لا يأْمر بخلاف موجب حمده وحكمته)[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (فَالْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ وَمَعْرِفَتُهَا، وَإِثْبَاتُ حَقَائِقِهَا، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِهَا، وَشُهُودُهُ لَهَا: هُوَ مَبْدَأُ الطَّرِيقِ وَوَسَطُهُ وَغَايَتُهُ، وَهُوَ رُوحُ السَّالِكِينَ، وَحَادِيهِمْ إِلَى الْوُصُولِ، وَمُحَرِّكُ عَزَمَاتِهِمْ إِذَا فَتَرُوا، وَمُثِيرُ هِمَمِهِمْ إِذَا قَصَرُوا، فَإِنَّ سَيْرَهُمْ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الشَّوَاهِدِ، فَمَنْ كَانَ لَا شَاهِدَ

(١) طريق الهجرتين (١/ ١٢٩).

لَهُ فَلَا سَيْرَ لَهُ، وَلَا طَلَبَ وَلَا سُلُوكَ لَهُ، وَأَعْظَمُ الشَّوَاهِدِ: صِفَاتُ مَحْبُوبِهِمْ، وَنِهَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَلَمُ الَّذِي رُفِعَ لَهُمْ فِي السَّيْرِ فَشَمَّرُوا إِلَيْهِ)[(١)].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقلًا وقولًا وعملًا بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرُّده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة)[(٢)].

وقد نصّ الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «القواعد المثلى» على أن (الوتر) اسم من أسماء الله تعالى.

وعلى هذا؛ فوصف الله تعالى بمعنى اسمه أمرٌ صحيح ـ إن شاء الله ـ، وذلك أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

وقال أيضًا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بعدما ذكر جملة من الصفات: (فَنَصِفُ الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسمِّيه بها، فلا نقول إن من أسمائه: (الجائي) و(الآتي) و(الآخذ) و(الممسك) و(الباطش) و(المريد) و(النازل) ونحو ذلك، وإنْ كُنَّا نخبر بذلك ونصفه به)[(٣)].

وقد يسَّر الله لي جمع الأسماء الحسنى من خلال حلقات متتابعة، وبعد اكتمالها ناسب أن تكون مجموعة في كتاب ليسهل الاطِّلاع عليها، وحرصت على ذكر الاسم ومعناه ودليله من الكتاب وصحيح السُّنة، ومن

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٢٧).
(٢) أصول وكليات من أصول التفسير (١/ ٨).
(٣) انظر القواعد المثلى (١/ ٢١).

أثبته اسمًا لله من الصحابة أو التابعين أو علماء السلف الذين اعتنوا بهذا الباب.

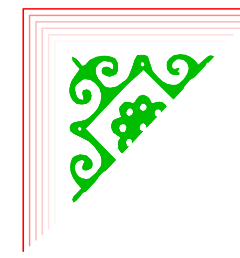
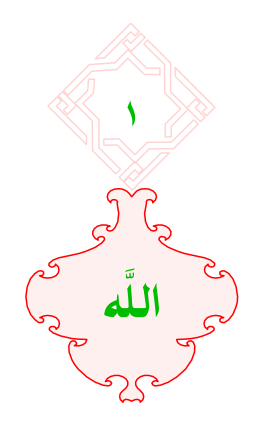
وكما تقدم فإن أسماء الله سبحانه ليست محصورة بعدد، لذا أُثبت كل ما دل عليه الدليل.

سائلًا الله ﷻ أن يجعل لنا نصيبًا من قول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». ولمن قرأها وانتفع بها، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا ورسولنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

كتبه

سعيِّد بن هليِّل العُمَر

١٢/محرم/١٤٤٠هـ

١
اللَّه

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ)(١).

فهو المألوه المعبود المستحقُّ للعبادة دون ما سواه، المتصف بصفات الكمال والجلال الذي تألهه القلوب، وتهفو إليه، وهو مفزعها في عسرها ويسرها.

وهذا الاسم قيل: هو اسم الله الأعظم؛ حيث ورد ذكره في القرآن أكثر من ألفين وستمائة مرة، وافتتحت به آيات كثيرة.

وهو مرجع الأسماء الحسنى وأصلها، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].

وحمد نفسه في أعظم سورة في القرآن وهي الفاتحة؛ فقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة].

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ١٢٢).

وابتدأ به أعظم آية في كتابه؛ وهي آية الكرسي، فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَـرَة: ٢٥٥].

واشتمل عليه دعاء الكرب: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»(١).

وكان إذا حزب النبي ﷺ أمر التجأ به الى ربِّه، كما في قوله: «**أَلاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٢).

وافتتحت سور القرآن به كما في البسملة، وبه تستفتح الصلاة، وكل أمر ذي بال يفتتح به، ولا تؤكل ذبيحة إلا إذا ذكر عليها اسم الله، وغالب الأذكار والأدعية والتحميد والتمجيد والتسبيح مفتتح به.

وأحب الأسماء إلى الله ما أضيف إليه؛ كما في حديث: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»(٣).

فهو المألوه المعبود في السمٰوات والأرض، والمستحقُّ للعبادة دون ما سواه.

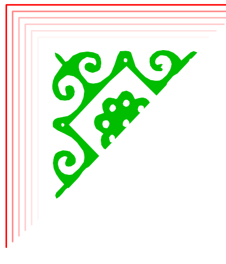
قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية)، وساقها. ثم قال: (وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك**»، وكيف

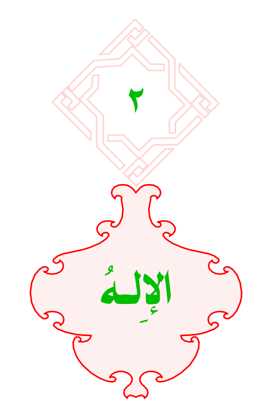
---

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والنسائي، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) أخرجه مسلم.

نحصي خصائص اسم لمسمَّاه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عزٍّ وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبرٍّ فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثَّره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العزَّ، ولا فقير إلا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضرَّه، ولا شريد إلا آواه. فهو الاسم الذي تُكشف به الكربات، وتُستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات. وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه أُنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد رب العالمين وحمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سرُّ الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئًا منه منتهيًا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٩١] إلى آخر كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ)[١].

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١/ ١١).





قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التّوبَة].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبيَاء].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزّخرُف].

ومعناه إلٰه الخلق، ومعبودهم، وربُّهم، وخالقهم، ورازقهم، والمتصرف بهم، والمدبر لأمورهم، فهم فقراء إليه، وهو غنيٌّ عنهم، فهم في أشد الاضطرار إليه في جميع أحوالهم، وهو المألوه المعبود في سمٰواته وأرضه.

إلٰه الأولين والآخرين، فهو الإلٰه الحق، وما سواه باطل.

وكان من تلبية النبي ﷺ قوله: «**لبيك إلٰه الحق**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

وروي عن الضحاك أنه قال: (إنما سمي الله إلهًا لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم ويتضرعون إليه عند شدائدهم)[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذ الْإِلَهُ: هُوَ الَّذِي يُؤَلَّه فَيُعْبَدُ مَحَبَّةً وَإِنَابَةً وَإِجْلَالًا وَإِكْرَامًا)[(٢)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْإِلَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ إنْ يُؤَلِّهَهُ الْعِبَادُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ حُبُّه وَخَوْفُهُ، فَمَا كَانَ مِنْ تَوَابِعِ الْأُلُوهِيَّةِ فَهُوَ حَقٌّ مَحْضٌ لِلَّهِ)[(٣)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمعنى: أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال، قال: وقيل: مشتق من أله الرجل يأله: إذا فزع من أمر نزل به فألهه، أي: أجاره)[(٤)].

ولما اجتمع كفار قريش لقتل خبيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، صلى ركعتين ثم قال: (اللَّهُمَّ أحْصِهِم عَدَدًا، واقْتُلهم بدَدًا ولا تُبْقِ منهم أحدًا، ثم أنشأ يقول:

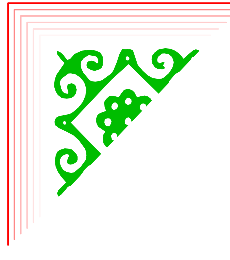
فلستُ أُبالي حينَ أُقتَلُ مُسلمًا ... على أيِّ جَنْبٍ كان لله مَصْرَعي
وذلك في ذاتِ (الإله) وإنْ يشأ ... يُبارِكُ على أوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

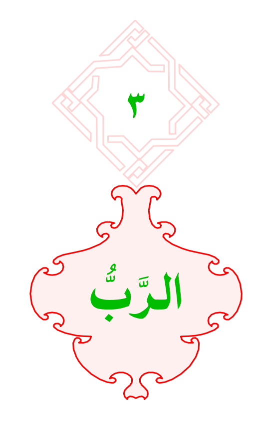
ثم قام إليه أبو سِرْوَعَة فقتله)[(٥)].

وقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٠٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢٢).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٧٦).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).
(٥) أخرجه البخاري.





قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البَقَرَة].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾ [مَريَم].

وقال سبحانه: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفَلَق].

وقال سبحانه: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [النَّاس].

وقال سبحانه: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يُوسُف: ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القَصَص: ٢٤].

وقد دعا به النبي ﷺ كثيرًا، فمن ذلك قوله: «ربِّ! أَعِنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصُرْني ولا تَنْصُرْ عليَّ، وامكُرْ لي ولا تَمْكُرْ عليَّ، واهدِني ويَسِّرِ الهُدَى لي، وانصُرْني على من بَغى عليَّ، ربِّ! اجعَلْني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مِطْواعًا، لك مُخْبتًا، إليك أَوَّاهًا مُنِيبًا، ربِّ! تَقَبَّلْ توبتي، واغسِلْ حَوْبَتي، وأَجِبْ دَعْوَتي، وثَبِّتْ حُجَّتي، وسَدِّدْ لساني، واهْدِ

قلبي، واسْلُلْ سَخِيمةَ صدري»[١].

وقد ورد هذا الاسم في كتاب الله كثيرًا، لأنه مربي الخلق وموجدهم ومالكهم وإلههم ومعبودهم، والمتصرف بهم وملجأهم وملاذهم.

قال المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ : (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ)[٢].

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا مَثَلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالْمُصْلِحُ أَمْرَ خَلْقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَالْمَالِكُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ النُّفُوسِ بِحَاجَتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ إلَى الرَّبِّ قَبْلَ عِلْمِهِمْ بِحَاجَتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ إلَى الْإِلَهِ الْمَعْبُودِ وَقَصْدِهِمْ لِدَفْعِ حَاجَاتِهِم الْعَاجِلَةِ قَبْلَ الْآجِلَةِ، كَانَ إقْرَارُهُمْ بِاللَّهِ مِنْ جِهَةِ رُبُوبِيَّتِهِ أَسْبَقَ مِنْ إقْرَارِهِمْ بِهِ مِنْ جِهَةِ أُلُوهِيَّتِهِ، وَكَانَ الدُّعَاءُ لَهُ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنَ الْعِبَادَةِ لَهُ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ. وَلِهَذَا إنَّمَا بَعَثَ الرُّسُلَ يَدْعُونَهُمْ إلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ الْمُسْتَلْزِمُ لِلْإِقْرَارِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وَأَنَّهُمْ إذَا مَسَّهُمُ الضُّرُّ ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ إلَّا

---

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في المشكاة.

(٢) الأصول الثلاثة (١/ ٣).

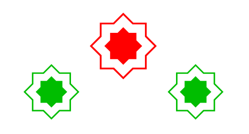
(٣) جامع البيان (١/ ١٤٢).

إِيَّاهُ وَقَالَ : ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ مُقِرُّون بِرُبُوبِيَّتِهِ وَأَنَّهُمْ مُخْلِصُونَ لَهُ الدِّينَ إِذَا مَسَّهُمُ الضُّرُّ فِي دُعَائِهِمْ وَاسْتِعَانَتِهِمْ، ثُمَّ يُعْرِضُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ فِي حَالِ حُصُولِ أَغْرَاضِهِمْ. وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ إِنَّمَا يُقَرِّرُونَ الْوَحْدَانِيَّةَ مِنْ جِهَةِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَأَمَّا الرُّسُلُ فَهُمْ دَعَوْا إِلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَعَبِّدَةِ وَأَرْبَابِ الْأَحْوَالِ إِنَّمَا تَوَجُّهُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ جِهَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ؛ لِمَا يَمُدُّهُمْ بِهِ فِي الْبَاطِنِ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا يَتَصَرَّفُونَ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْمُلُوكِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ عز وجل فِي الْقُرْآنِ هَذَا الصِّنْفَ كَثِيرًا، فَتَدَبَّرْ هَذَا فَإِنَّهُ تَنْكَشِفُ بِهِ أَحْوَالُ قَوْمٍ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْحَقَائِقِ وَيَعْمَلُونَ عَلَيْهَا، وَهُمْ لَعَمْرِي فِي نَوْعٍ مِنَ الْحَقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ الرُّبُوبِيَّةِ لَا فِي الْحَقَائِقِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ الِاعْتِنَاءُ بِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ)[(١)].

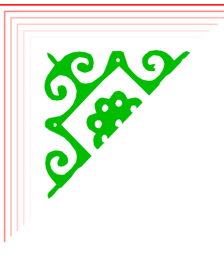
وقال ابن القيم رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾ [الناس] ... وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكلِّ مربوب وأخّر الإلهية لخصوصها؛ لأنه سبحانه إنما هو إلهُ مَنْ عبده وحده واتخذه دون غيره إلهًا، فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه، وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه، ولكن المشرك ترك إلهه الحق واتخذ إلهًا غيره باطلًا. ووسّط صفة الملك بين الربوبية والإلهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره، فهو المطاع إذا أمر، وملكه لهم تابع لخلقه إياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال

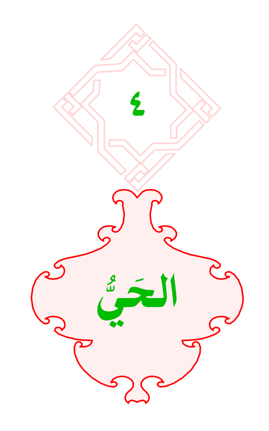
(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٥).

ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها، فهو الرب الملك الحق، الإله الحق، خلقهم بربوبيته وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته. فتأمل هذه الجلالة، وهذ العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن سياق ﴿رب ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [النّاس]. وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاثة على جميع قواعد الإيمان، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى، أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى: فإنَّ الربَّ هو القادر الخالق البارئ المصور، الحي القيوم، العليم السميع البصير، المحسن المنعم، الجواد المعطي المانع، الضار النافع المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويسعد من يشاء ويشقي من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء... إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى)[1].



(١) بدائع الفوائد (٢/٢٤٩).





٤
الحَيُّ

وقد اقترن هذا الاسم باسمه القيُّوم في عدة مواضع، لكون الحيِّ مسلتزمًا لجميع صفات الكمال، فحياته سبحانه لم تسبق بعدم، ولا يلحقها فناء، والقيوم مستلزم لجميع صفات الأفعال، كما سيأتي من كلام ابن تيمية وابن القيم.

ولذلك نفى عن نفسه سبحانه السِّنَة والنوم لكمال صفاته وأفعاله.

قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

وقولُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عِمرَان].

وقولُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ۝١١١﴾ [طه].

وقولُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفُرقان].

وقولُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غَافِر: ٦٥].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما قولُه ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ فإنَّهُ يعني: الذي له الحياةُ الدائمةُ والبقاءُ، الذي لا أولَ له بحد ولا آخِرَ له بأمد، إذ كَانَ

كلُّ ما سِوَاه فإنه وإن كان حيًّا فلحياتِهِ أولُ محدودٌ، وآخرٌ ممدود، ينقطع بانقطاعِ أمدِها وينقضي بانقضاءِ غايتِها)[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاسْمُهُ «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» يَجْمَعُ أَصْلَ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَمَا قَدْ بُسِطَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُهُ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ)[(٢)].

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن صفة الحياة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال مستلزمةٌ لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو اسم الحي القيوم)[(٣)].

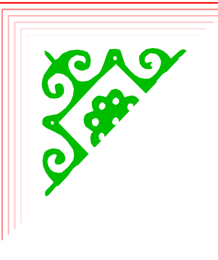
وقال أيضًا: (وَاسْمُهُ «الْحَيُّ» يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مُعَطَّلًا مِنَ الْفِعْلِ؛ بَلْ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الْفِعْلُ، فَكُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ خَالِقًا قَيُّومًا مِنْ مُوجِبَاتِ حَيَاتِهِ وَمُقْتَضَيَاتِهَا)[(٤)].

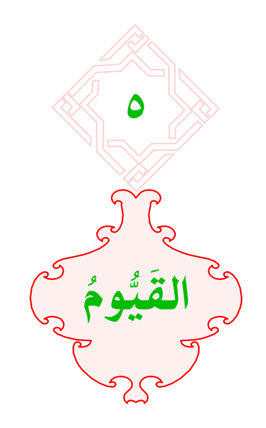
ومِنْ دعاء النبي ﷺ أنه كَانَ يقول: «**اللهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وَعلَيكَ توكلتُ، وإلَيك أنبتُ، وبك خَاصمتُ، اللهمَّ إني أعوذُ بعزتِكَ لا إله إلا أنت أن تُضِلَّني، أنتَ الحيُّ الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنس يموتون**»[(٥)].

وقوله ﷺ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[(٦)].

---

(١) جامع البيان (٥/ ٣٨٦).
(٢) الفتاوى (١/ ٢٠٧).
(٣) زاد المعاد (٤/ ٢٠٤).
(٤) مدارج السالكين (١/ ٤١٩).
(٥) متفق عليه واللفظ لمسلم.
(٦) أخرجه النسائي، والترمذي، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.





٥

القَيُّومُ

قال تَعالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة].

وكان عليه الصلاة والسلام يقول إذا قام إلى الصلاةِ من جوفِ اللَّيلِ: «**اللهمَّ لك الحمدُ، أنت نورُ السماواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ، أنت قَيَّامُ السماواتِ والأرضِ...**»(١).

وفي رواية: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**»(٢).

وفي رواية: «**أنت قيُّوم**»(٣).

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ تدخل فيه جميع صفات الأفعال، لأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه مالك، والدارمي.

بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها)[١].

وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال: «**اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي سُوَرٍ ثَلَاثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه**».

فالتمستها ـ أي القاسم ـ فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وفي سورة آل عمران ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عِمرَان: ١-٢]، وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه: ١١١])[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: (مَعْنى اسْمه ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وَهُوَ الَّذِي قَامَ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحدٍ، وَقَامَ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ، فَكُلُّ مَا سِوَاهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ بِالذَّاتِ، وَلَيْسَتْ حَاجَتُهُ إِلَيْهِ مُعَلَّلَةً بِحُدُوثٍ، كَمَا يَقُولُ الْمُتَكَلِّمُونَ، وَلَا بِإِمْكَانٍ، كَمَا يَقُولُ الْفَلَاسِفَةُ الْمَشَّاءُونَ، بَلْ حَاجَتُهُ إِلَيْهِ ذَاتِيَّةٌ، وَمَا بِالذَّاتِ لَا يُعَلَّلُ)[٣].

وقال في موضع آخر: (وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن إليه وجزاء المسيء إليه، وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل،

---

(١) تفسير الكريم الرحمن (١/ ٩٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، والحاكم في المستدرك واللفظ له، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١١١).

لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يضلُّ ولا ينسى، وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية)[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي تأثير قوله: «**يا حيُّ يا قيُّومُ، برحمتِك أستغيثُ**» في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإنَّ صفة الحياة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القَيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسمُ الحَيّ القَيُّوم، والحياة التامة تُضاد جميعَ الأسقام والآلام، ولهذا لَمَّا كَمُلَتْ حياة أهل الجَنَّة لم يلحقهم هَمٌّ ولا غَمٌّ ولا حَزَنٌ ولا شيء من الآفات، ونقصانُ الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمالُ القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا يفوتُه صِفة الكمال ألبتة، و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ لا يتعذَّرُ عليه فعلٌ ممكنٌ البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقَيُّومية له تأثيرٌ في إزالة ما يُضادُّ الحياة، ويضُرُّ بالأفعال.

ونظير هذا توسلُ النبي ﷺ إلى ربِّه بربوبيته لجبريلَ ومِيكائيلَ وإسرافيلَ أن يَهدِيَه لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنه، فإنَّ حياة القلب بالهداية، وقد وكَّل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة، فجبريلُ موكلٌ بالوحي الذي هو حياةُ القلوب، وميكائيل بالقَطْر الذي هو حياةُ الأبدان والحيوان، وإسرافيل بالنَّفْخ في الصُّور الذي هو سببُ حياةِ العالَم وعَودِ الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إليه سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير في حصول المطلوب.

والمقصود: أن لاسم الحيّ القَيُّوم تأثيرًا خاصًّا في إجابة الدعوات، وكشف الكُربات.

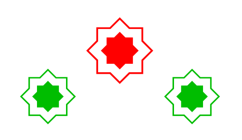
---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٩١).

وفي «السنن» و«صحيح أبي حاتم» مرفوعًا: «**اسمُ الله الأعْظَم في هـاتَـيْـنِ الآيـتـيـن:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البَقَـرَة]، **وفـاتـحـةِ آلِ عـمـران:** ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عِمرَان]»[(١)].

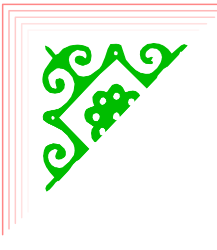
وفي «السنن» و«صحيح ابن حِبَّان» أيضًا: من حديث أنس أنَّ رجلًا دعا، فقال: اللهُمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إلَهَ إلا أنتَ المنَّانُ، بديعُ السَّمواتِ والأرضِ، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قَيُّومُ، فقال النبي ﷺ: «**لقد دَعَا الله باسمِهِ الأعْظَم الذي إذا دُعِي به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعْطَى**».

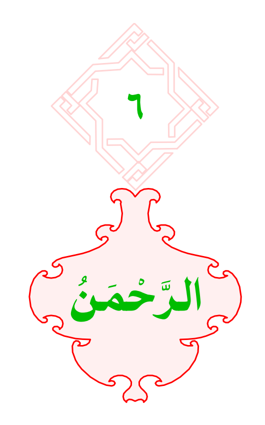
ولهذا كان النبيُّ ﷺ إذا اجتهد في الدعاء، قال: «**يَا حيُّ يا قَيُّومُ**»[(٢)].



(١) قال الترمذيُّ: حديث صحيح.

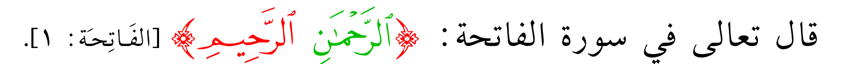
(٢) زاد المعاد (٤/ ٢٠٤).





٦

الرَّحْمَنُ



قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن].

وقال سبحانه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝٦٠﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم].

وفي الحديث القدسيِّ: «أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِن اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[١].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[٢].

وقال النبي ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٢) متفق عليه.

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا، وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[(٢)].

ولما كُتِب: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، في الصلح الذي جرى بين النبي ﷺ وبين كفار قريش في صلح الحديبية، قال سُهيل بن عمرو: (أَمَّا «الرَّحْمَنُ»، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ!؟ وَلَكِنِ اكْتُبْ: (بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ) كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ)[(٣)].

فــأنــزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الرّعد: ٣٠] قاله ابن عباس وغيره رضي الله عنهما[(٤)].

و(«الرَّحْمنُ»): هو الذي وسعت رحمته عموم خلقه، كما قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وسعت المؤمن، والكافر، والبرَّ، والفاجر، حتى الوحوش والبهائم، وسائر المخلوقات، ولكنه اختص المؤمنين برحمته في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله: («الرَّحْمنُ»: دال على الصفة القائمة به سبحانه

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري في تاريخه، والترمذي واللفظ له، وروى أبو داود أوله، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٢) متفق عليه.

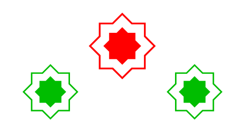
(٣) أخرجه البخاري.

(٤) انظر الدر المنثور (٤/ ٥٦١).

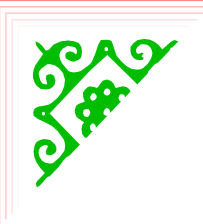
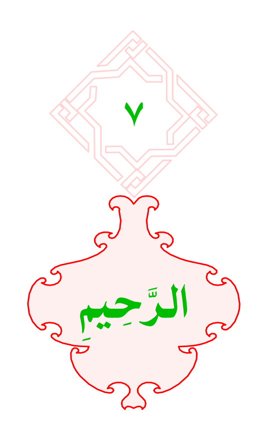
والرحيم دالٌّ على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزَاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعُلِم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته)[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فـ«الرحمنُ» الذي الرَّحْمَةُ وَصْفُهُ، والرحيمُ الراحمُ لِعِبَادِه)[2].

وقال أيضًا عن اسم «الرَّحْمن»: (ولما كان هذا الاسمُ مختصًّا به تعالى، حَسُنَ مجيئُه مفردًا غيرَ تابعٍ كمجيءِ اسمِ اللهِ كذلك، ولم يَجِئْ قطُّ تابعًا لغيرِه بل متبوعًا، وهذا بخلافِ العليم، والقديرِ، والسّميع، والبصيرِ، ونحوِها، ولهذا لا تَجِيْءُ هذه مفردةً بل تابعةً، فتأملْ هذه النُّكْتةَ البديعةَ)[3].



(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٤).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٦).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

٧
الرَّحِيم

قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فُصّلَت].

وقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يسۤ].

وقال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [الحِجر].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٧].

وقولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة].

وقولُه سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المَائدة: ٣٩].

وقولُه تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٩].

وقولُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [المَائدة].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هُود].

وقولُه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ [الطُّور].

وقوله: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ۝٦٦﴾ [الإسرَاء].

وقولُه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشُّعَرَاء].

واقترن اسم الله «الرحيم» مع العزيز في سورة «الشعراء» مرارًا، لعظم دلالة اقتران هذين الاسمين، فمن جمع بين العزِّ والرحمة فهو المستحق للعبادة وحده، وهو الذي يرحم ويعز، وأعظم رحمته توفيقه لعبده بالقيام بحقه في التوحيد.

واقترن اسم «الرحيم» بالتواب، والغفور، والرؤوف، والودود، ليبين لعباده لطفه، وعفوه، ومغفرته، وإحسانه، وجوده، وتجاوزه عن ذنوبهم مهما عظمت إذا هم أنابوا إليه.

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

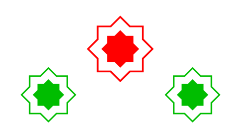
---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه مسلم.

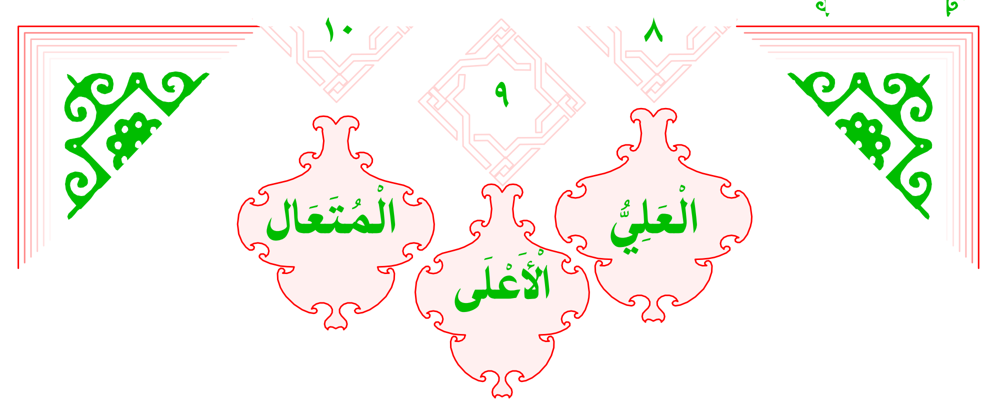
ولما سأله أبو بكر ﷺ دعاءً يدعو به في صلاته وبيته، قال عليه الصلاة والسلام: «**قل: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ**»[(١)].

وقال الصحابة ﷺ: (كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[(٢)].

وقال ابنُ القيِّم ﷺ: (إنَّ ظُهُورَ آثَارِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي الْوُجُودِ كَظُهُورِ أَثَرِ صِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ، فَإِنَّ مَا لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ شَاهِدٌ بِرَحْمَةٍ تَامَّةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، كَمَا أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا شَاهِدَةٌ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ التَّامَّةِ الْكَامِلَةِ)[(٣)].



(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه أهل السنن، وصححه الإمام الألباني ﷺ.
(٣) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٣٦٨).



قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحَجّ].

وقال تعالى: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غَافر: ١٢].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرّعد].

وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى].

وقال سبحانه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: ١٠].

وقال عز من قائل: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [المعَارج].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ الآيَات وَالْأَخْبَارَ الدَّالَّة عَلَى عُلُوِّ الرَّبِّ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ تُقَارِبُ الْأُلُوف)[1].

وروى البخاري ومسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ٣٦٨).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً».

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحمنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١).

وقوله ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(٢).

وكَانَتْ زَيْنَبُ رضي الله عنها تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ وَقَالَ: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾، فَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْعَلِيُّ الَّذِي لَا أَعْلَى مِنْهُ، الْكَبِيرُ الَّذِي لَا أَكْبَرَ منه، تعالى وتقدس وتنزه عز وجل عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ الْمُعْتَدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا)(٤) ا.هـ.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: («العلي الأعلى»: وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر، فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال، وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى)(٥) ا.هـ.

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري في تاريخه، والترمذي واللفظ له، وروى أبو داود أوله، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) متفق عليه.

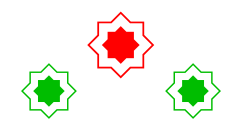
(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٩٣).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٣٣).

فهو العلي الأعلى المتعال على خلقه، استوى على عرشه، وأحاط بملكه، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، فالقلوب متوجهة له بالذلِّ والانكسار، والأبدان خاضعة له حال الرخاء والاضطرار، فسبحانه من إله، اتصف بصفات الكمال، وتقدس وتنزه عن المشابهة والأمثال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ. وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَدْحِ لَهُ بِذَلِكَ وَالتَّعْظِيمِ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، كَمَا مَدَحَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الْعَظِيمُ وَالْعَلِيمُ وَالْقَدِيرُ وَالْعَزِيزُ وَالْحَلِيمُ وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَأَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَّصِفَ بِأَضْدَادِ هَذِهِ. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِضِدِّ الْحَيَاةِ والقيومية وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ مِثْلِ الْمَوْتِ وَالنَّوْمِ وَالْجَهْلِ وَالْعَجْزِ وَاللُّغُوبِ، وَلَا بِضِدِّ الْعِزَّةِ وَهُوَ الذُّلُّ، وَلَا بِضِدِّ الْحِكْمَةِ وَهُوَ السَّفَهُ. فَكَذَلِكَ لَا يُوصَفُ بِضِدِّ الْعُلُوِّ وَهُوَ السُّفُولُ، وَلَا بِضِدِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ الْحَقِيرُ؛ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذِهِ النَّقَائِصِ الْمُنَافِيَةِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لَهُ. فَثُبُوتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ يَنْفِي اتِّصَافَهُ بِأَضْدَادِهَا وَهِيَ النَّقَائِصُ)[(١)] ا.هـ.

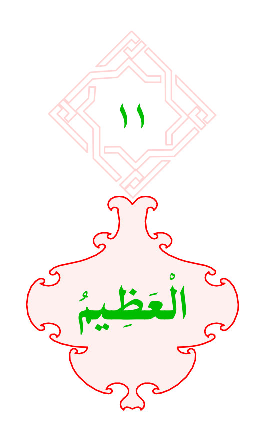
ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا الحكمة في قول المصلِّي «سبحان ربي الأعلى» حال السجود: (وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال في غاية المناسبة لحال الساجد الذي قد انحط إلى السفل على وجهه، فذكر علو ربه ونزه ربه عما يليق به مما يضاد عظمته وعلوه)[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٩٧).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (١/ ١٤٩).





قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

وقال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيم»[(١)].

وكان يقولُ عند الكربِ: «لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيمُ، لا إله إلا الله ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمُ»[(٢)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وقال الله في الحديث القدسي: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(١).

وكان إِذَا ذهب إلى الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»(٢).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: («**الْعَظِيمُ**»: الجامع لجميع صفات العظمة، والكبرياء، والمجد، والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم)(٣).

وقال أيضًا في تفسير أسماء الله الحسنى: (إنَّ الله تعالى عظيم، له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصي ثناء عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده. واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان: **أحدهما**: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كفِّ الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، وأحمد واللفظ لهما، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٥٤).

وقــــــال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فَاطِر: ٤١].

وقال تعالى وهو العلي العظيم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الشّورىٰ: ٥] الآية.

وفي الصحيح عنه ﷺ: «**إن الله يقول: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته**»، فللَّه تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظَّم كما يعظم الله، فيستحق ﷻ من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. ومن تعظيمه أن يُتقى حق تقاته فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحَجّ] و﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الحَجّ: ٣٠] ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه)[١] ا.هـ.

ولــمــا نــزل قــول الله ﷻ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»[٢]. لاستحقاقه سبحانه التعظيم،

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٦٥).

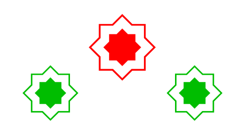
(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده محتمل للتحسين.

والتمجيد، فناسب اسمه العظيم هذا الخضوع، لأنه ذو الجبروت والملكوت والعظمة.

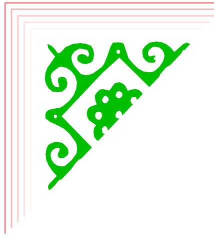
قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المصلي في ركوعه وحاله ذلك: (ثم يرجع جاثيًا له ظهره خضوعًا لعظمته، وتذللًا لعزته واستكانة لجبروته، مسبحًا له بذكر اسمه العظيم)[١].

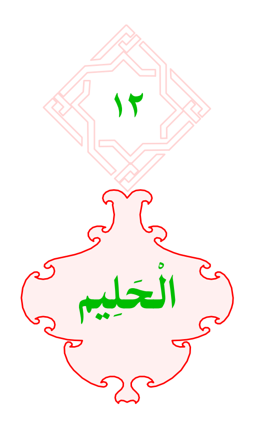
وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن عظمة الله تعالى وجلاله في العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره)[٢].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيَه، وقره الله في قلوب الخلق أن يُذلُّوه)[٣].



(١) شفاء العليل (٢/ ٣٦٠).
(٢) الجواب الكافي (ص ٤٦).
(٣) فرائد الفوائد (ص ٣٤٦).





١٢
الْحَلِيم



قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البَقَـرَة: ٢٣٥].

وقــولــه ﷻ: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ [البَقَـرَة].

وقــولـــه ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا﴾ [الأحزَاب: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسرَاء: ٤٤ وفاطر: ٤١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («الْحَلِيمُ»: الذي وسع حلمه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلًا، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا)[(١)].

وقال أيضًا: (و«الحليم»: الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة، والباطنة مع معاصيهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا)[(٢)].

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٥١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٤٥).

ومن دعاء النبي ﷺ عند الكربِ: «**لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيمُ، لا إله إلا الله ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمُ**»(١).

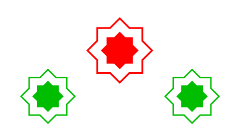
فقرن بين اسمين عظيمين؛ العظيم والحليم، لأنه لا يجمع بين العظمة والحلم إلا الإله المستحق للعبادة، وهو الله ﷻ.

والحلم محمود في حق المخلوق، ومحبوب عند الله من اتصف به، لما له من الآثار الحسنة، فقد وصف الله به نبيه إبراهيم ﵇، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هُود]، وقال النبي ﷺ لأشج بن عبد القيس ﵁: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»(٢).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ﵀: («حَلِيمٌ غَفُورٌ»: أَنْ يَرَى عِبَادَهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِهِ وَيَعْصُونَهُ، وَهُوَ يَحْلُمُ فَيُؤَخِّرُ وَيُنْظِرُ وَيُؤَجِّلُ وَلَا يَعْجَلُ، وَيَسْتُرُ آخَرِينَ وَيَغْفِرُ)(٣).

وقال ابن القيم في «نونيته»(٤):

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان

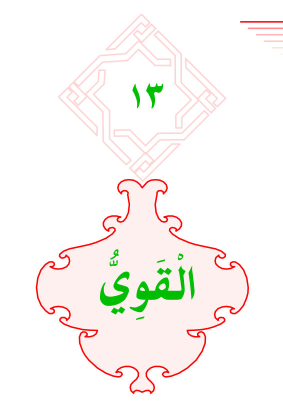


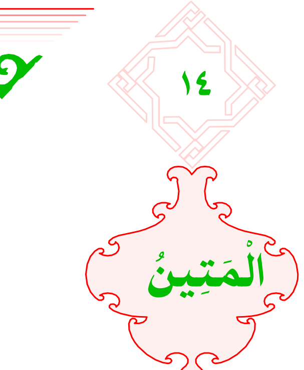
(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) تفسير ابن كثير (١١/ ٣٣٨).

(٤) (١/ ٢٠٧).





وقد جاء اسم الله «الْقَوِيُّ» في عدّة مواضع من القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ١٩﴾ [الشّورى].

وقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ٢١﴾ [المجَادلة].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هُود: ٦٦].

وقوله: ﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غَافر: ٢٢].

وقد حثَّ النبي ﷺ على قول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ: (وَأَوْصَانِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فإنها كنز من كنوز الجنة)(١).

وقد ورد اسم «المتين» أيضًا في السُّنة من حديث عبد الله بن مسعود

(١) أخرجه الطبراني، وابن حبان، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحة، وله أصل في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري.

حينما قال: «أقْرَأَنِي رسولُ الله، ﴿إني أنا الرزاق ذو القوة المتين﴾»[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]: (لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ وَلَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ رَادٌّ، يَنْفُذُ أَمْرُهُ وَيَمْضِي قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ، شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ وَجَحَدَ حُجَجَهُ)[(٢)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذه الآية: (أَيْ: لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ وَلَا يَفُوتُهُ هارب)[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا قيل في حقه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذّاريات] وقيل في حقه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] وقيل في حق المخلوق إن له قوة وعلمًا لم يكن هذا العلم والقوة هو هذا العلم والقوة ولا هو مثله؛ بل هذا علم وقوة يختص به الرب وهذا علم وقوة يختص به العبد، وإذا اتفقا في مسمى القوة والعلم عند الإطلاق لم يستلزم ذلك أن يكون أحدهما هو عين الآخر ولا أن يكون مثله)[(٤)].

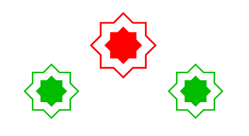
ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾، فعلم أن «القوي» مِنْ أَسْمَائِهِ، وَمَعْنَاهُ الْمَوْصُوفُ بِالْقُوَّةِ)[(٥)].

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذّاريَات: ٥٨] أي: الذي له القوة والقدرة كلها، التي أوجد بها الأجرام العظيمة، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع

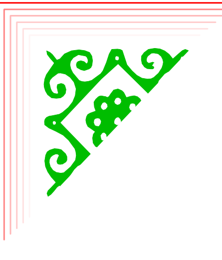
---

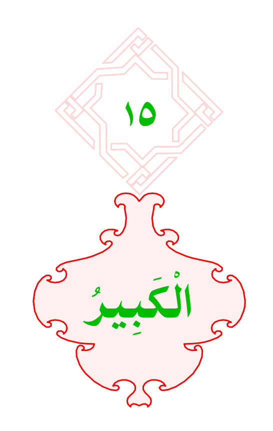
(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) تفسير الطبري (١٤/١٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/٦٩).
(٤) الصفدية (٢/٦).
(٥) مدارج السالكين (٢/٥٢).

البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته أنه يبعث الأموات بعدما مزقهم البلى، وعصفت بترابهم الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين)[١].



(١) تفسير السعدي (١/ ٨١٣).





قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النِّسَاء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرّعد].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحجّ].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبَإ].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غافر].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ،**

فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»[(١)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ يَعْنِي الْعَظِيمَ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ)[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: («اللَّه أَكْبَرُ» إِثْبَاتُ عَظَمَتِهِ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ يَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ. وَلِهَذَا جَاءَتِ الْأَلْفَاظُ الْمَشْرُوعَةُ فِي الصَّلَاةِ وَالْأَذَانِ بِقَوْلِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ» فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ مِنْ قَوْلِ اللَّه أَعْظَمُ)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالله سبحانه أكبر من كل شيء، ذاتًا وقدرًا وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء: في ذاته، وصفاته، وأفعاله، كما هو فوق كل شيء، وعالٍ على كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ من كل شيء، في ذاته وصفاته وأفعاله)[(٤)].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: الذي له الكبرياء في ذاته، وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء، والأرض)[(٥)] ا.هـ.

ولذلك جاء التكبير في غالب العبادات، فلا تستفتح الصلاة إلا بقول: (الله أكبر)، ويكبر عند استلام الحجر الأسود، ويكبر عند رمي الجمار، وغالب الأذكار ذكر فيها التكبير، ويكبر على كل خبر سار لما

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٦).
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣١).
(٤) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٧٩)
(٥) تفسير السعدي (١/ ٦٥١).

اشتمل عليه هذا اللفظ من تعظيم وتمجيد وتنزيه لله ﷻ لأنه الكبير الأعلى العلي المتعال.

وفي «صحيح مسلم» عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا**». قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**عَجِبْتُ لَهَا فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**». قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ).

وروى مسلم في «صحيحه» من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيِّهنَّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

وروى مسلم أيضًا في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّه وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه وَاللَّه أَكْبَرُ أَحبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ غَزَا خَيْبَرَ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّه ﷺ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّه ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّه ﷺ، ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّه ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ القَرْيَةَ قَالَ: «**اللَّه أَكْبَرُ! خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ** ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصَّافات: ١٧٧]»)[١].

فالله أكبر وأعظم وأجلُّ من كل شيء، كما قال عليه الصلاة والسلام لعدي ابن حاتم رضي الله عنه في الحديث: (قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ

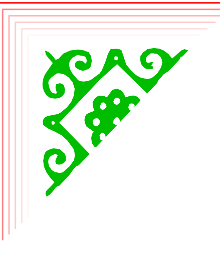
---

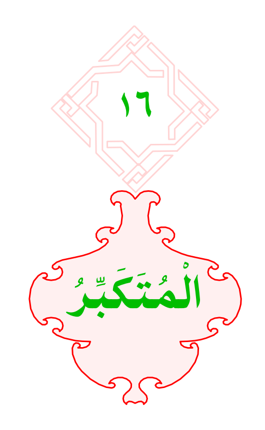
(١) متفق عليه.

فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِم، وَجِئْتُ بِغَيْرِ أَمَانٍ وَلَا كِتَابٍ، فَلَمَّا دُفِعْتُ إِلَيْهِ أَخَذَ بِيَدِي، وَقَدْ كَانَ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّه يَدَهُ فِي يَدِي، قَالَ: فَقَامَ فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيٌّ مَعَهَا، فَقَالَا: إِنَّ لَنَا إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَامَ مَعَهُمَا حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي حَتَّى أَتَى بِي دَارَهُ، فَأَلْقَتْ لَهُ الْوَلِيدَةُ وِسَادَةً فَجَلَسَ عَلَيْهَا، وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا يُفِرُّكَ أَنْ تَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللَّه؟**» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا تفِرُّ أَنْ تَقُولَ: اللَّه أَكْبَرُ، وَتَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا أَكْبَرُ مِنَ اللَّه؟**» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «**فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلَّالٌ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّي جِئْتُ مُسْلِمًا، قَالَ: فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ تَبَسَّطَ فَرَحًا، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِي فَأُنْزِلْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ جَعَلْتُ أَغْشَاهُ آتِيهِ طَرَفَيِ النَّهَارِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ عَشِيَّةً إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ فِي ثِيَابٍ مِنَ الصُّوفِ مِنْ هَذِهِ النِّمَارِ، قَالَ: فَصَلَّى وَقَامَ فَحَثَّ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: «**وَلَوْ صَاعٌ وَلَوْ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَلَوْ بِقَبْضَةٍ وَلَوْ بِبَعْضِ قَبْضَةٍ يَقِي أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ حَرَّ جَهَنَّمَ ـ أَوِ النَّارِ ـ وَلَوْ بِتَمْرَةٍ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَقِي اللَّه وَقَائِلٌ لَهُ مَا أَقُولُ لَكُمْ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالاً وَوَلَدًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَيْنَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَيَنْظُرُ قُدَّامَهُ وَبَعْدَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ لاَ يَجِدُ شَيْئًا يَقِي بِهِ وَجْهَهُ حَرَّ جَهَنَّمَ، لِيَقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، فَإِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْفَاقَةَ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ وَمُعْطِيكُمْ حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ فِيمَا بَيْنَ يَثْرِبَ وَالْحِيرَةِ أَوْ أَكْثَرَ، مَا تَخَافُ عَلَى مَطِيَّتِهَا السَّرَقَ**» قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ فِي نَفْسِي: فَأَيْنَ لُصُوصُ طَيِّئٍ(١) .

---

(١) أخرجه الترمذي، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله.





١٦

الْمُتَكَبِّرُ

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر].

وقال قتادة: («الْمُتَكَبِّرُ» قال: تكبر عن كلّ شر)[1].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر] وَرَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ وَيُحَرِّكُهَا يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا الْمُتَكَبِّرُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْعَزِيزُ أَنَا الْكَرِيمُ، فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا لَيَخِرَّنَّ بِهِ)[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وَسَمَّى نَفْسَهُ الْجَبَّارَ الْمُتَكَبِّرَ، وَسَمَّى بَعْضَ خَلْقِهِ بِالْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ قَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] وَلَيْسَ الْجَبَّارُ كَالْجَبَّارِ وَلَا الْمُتَكَبِّرُ كَالْمُتَكَبِّرِ)[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٤).
(٢) أخرجه أحمد، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٣) الفتاوى (٣/ ١٢).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن السوء والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه)[١].

ولا يحلُّ لمخلوق منازعته في كبريائه وعظمته، ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[٢].

وجاء عنه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[٣].

وقد مدح الله عَزَّوَجَلَّ عباده الذين لا يستكبرون عن عبادته في العديد من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السَّجدَة: ١٥].

وذمَّ المتكبرين عن عبادته والمتعالين عن طاعته، كما في قوله سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعرَاف: ١٤٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غَافر: ٦٠].

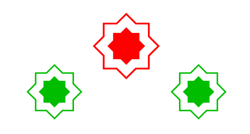
«**والْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[٤]، كما أخبر النبي ﷺ.

قال سفيان بن عيينة: (مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الشَّهْوَةِ؛ فَارْجُ لَهُ

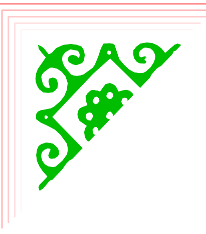
(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٨٠).
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه مسلم.

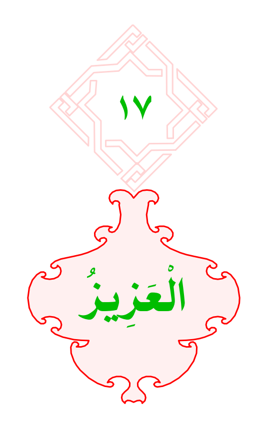
التَّوْبَةَ، فَإِنَّ آدَمَ ﷺ عَصَى مُشْتَهِيًا فَغُفِرَ لَهُ، وَإِذَا كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي كِبْرٍ؛ فَٱخشَ عَلَى صَاحِبِهِ اللَّعْنَةَ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ عَصَى مُسْتَكْبِرًا فَلُعِنَ)[(١)].

والكبرياء مدح في حق الله، وصفة من صفاته، فمن نازعه هذه الصفة قصمه، وهي مذمومة في حق المخلوق، لأنه نازع الخالق صفة من صفاته، واتصف بما لا يليق به.



(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٢).





١٧

العَزِيزُ



قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العَنكبوت: ٢٦]

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصَّافات].

وقال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عِمران: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ﴾ [فَاطِر: ١٠].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ أَعْدَائِهِ)[1].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يُوَالِي أَحَدًا لِذِلَّتِهِ، تَعَالَى؛ بَلْ هُوَ الْعَزِيزُ بِنَفْسِهِ و﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: ١٠])[2].

وقال أيضًا: (إِنَّ الْمَخْلُوقَ يُوَالِي الْمَخْلُوقَ لِذُلِّهِ؛ فَإِذَا كَانَ لَهُ مَنْ

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٤)

(٢) الفتاوى (٨/ ٥٢٠).

يُوَالِيهِ عَزَّ بِوَلِيِّهِ ؛ وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يُوَالِي أَحَدًا لِذِلَّتِهِ [لغناه] تَعَالَى [عن ذلك] بَلْ هُوَ الْعَزِيزُ بِنَفْسِهِ و ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] وَإِنَّمَا يُوَالِي عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ وَفَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ)[١].

وقال أيضًا : (﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، إذ كان المخلوق كثيرًا ما يتّصف بالعزّة دون الرحمة، أو تكون فيه رحمة بلا عزّة. وهو سبحانه: العزيز، الرحيم، الغفور، الودود، المجيد)[٢].

وعن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أنهما كانا يقولان في السعي بين الصفا والمروة: (رب اغفر وارحم، وتجاوز عمَّا تعلم؛ إنك أنت الأعزُّ الأكرم)[٣].

ولذلك عدَّ بعض أهل العلم «الأعز» من أسماء الله.

وقال ابن كثير رحمه الله : (﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته، وعظمته، وجبروته، وكبريائه)[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله : (وَالْعِزَّةُ يُرَادُ بِهَا ثَلَاثَةُ مَعَانٍ: عِزَّةُ الْقُوَّةِ، وَعِزَّةُ الِامْتِنَاعِ، وَعِزَّةُ الْقَهْرِ، وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ الْعِزَّةُ التَّامَّةُ بِالِاعْتِبَارَاتِ الثَّلَاثِ، وَيُقَالُ مِنَ الْأَوَّلِ: عَزَّ يَعَزُّ بِفَتْحِ الْعَيْنِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمِنَ الثَّانِي: عَزَّ يَعِزُّ بِكَسْرِهَا، وَمِنَ الثَّالِثِ: عَزَّ يَعُزُّ بِضَمِّهَا، أَعْطُوا أَقْوَى الْحَرَكَاتِ لِأَقْوَى الْمَعَانِي، وَأَخَفَّهَا لِأَخَفِّهَا، وَأَوْسَطَهَا لِأَوْسَطِهَا، وَهَذِهِ

(١) الفتاوى (٨/ ٥٨٠).
(٢) النبوات (١/ ٣٥٢).
(٣) أخرجه البيهقي، والطبراني، وابن أبي شيبة.
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٦).

الْعِزَّةُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ، إِذِ الشَّرِكَةُ تُنْقِصُ الْعِزَّةَ، وَمُسْتَلْزِمَةٌ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ؛ لِأَنَّ الشَّرِكَةَ تُنَافِي كَمَالَ الْعِزَّةِ، وَمُسْتَلْزِمَةٌ لِنَفْيِ أَضْدَادِهَا، وَمُسْتَلْزِمَةٌ لِنَفْيِ مُمَاثَلَةِ غَيْرِهِ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا)[(١)].

ويقول في النونية[(٢)]:

وهو العزيزُ فلن يُرامَ جنابُه	أنَّى يُرامَ جنابُ ذي السلطانِ
وهو العزيزُ القاهرُ الغلَّابُ لم	يغلِبْه شيءٌ هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفُهُ	فالعِزُّ حينئذٍ ثلاثُ معان
وهي التي كملت له سبحانه	من كل وجه عادم النقصان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي له العزة كلها؛ عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته، فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم:

عزة القوة، الدال عليها من أسمائه (القوي المتين)، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات، وإن عظمت.

وعزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه؛ بل هو الضار النافع المعطي المانع.

وعزة القهر والغلبة، لكل الكائنات، فهي كلها مقصورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٤١).
(٢) (١/ ٢٠٥).

متحرك، ولا يتصرف متصرف، إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به)[(١)]. انتهى.

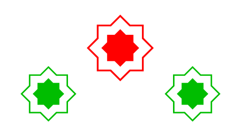
فله العزة التامة من جميع الوجوه سبحانه، وهو معزُّ أوليائه، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

والمعز لدينه كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلاَمَ وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**».

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رضي الله عنه يَقُولُ: (قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي: لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ)[(٢)].

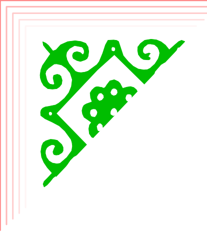
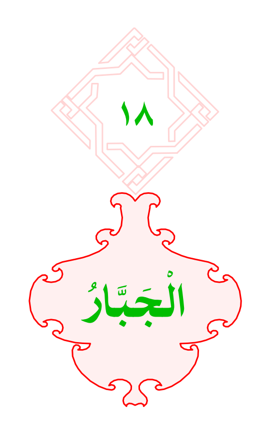
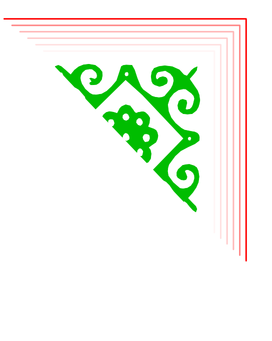
وكان يرشد إلى الرقية بقول: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»، سَبْعَ مَرَّاتٍ فَقُلْتُ ذَلِكَ فَشَفَانِيَ اللَّهُ[(٣)].

لكمال عزته وقدرته جل جلاله.



---

(١) من «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص: ٢١٤).
(٢) أخرجه أحمد، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة.
(٣) أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه واللفظ له، وأصله في مسلم.

١٨

الْجَبَّارُ

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلاً لِأَهْلِ الجَنَّةِ**».

فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**بلَى**»، قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟**» قَالَ: «**إِدامُهُم بالامٌ وَنُونٌ**»، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «**ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا**»[١].

وفي حديث الشفاعة يقول النبي ﷺ: «**وَإِنِّي آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَآخُذُ**

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

بِحَلْقَتِهَا فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي فَأَدْخُلُ فَإِذَا الْجَبَّارُ ﷻ مُسْتَقْبِلِي فَأَسْجُدُ لَهُ فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[(١)].

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»[(٢)]. يقولها بين السجدتين.

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ رُكُوعِهِ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»[(٣)].

وقال الطبري رحمه الله: (﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ يَعْنِي: الْمُصْلِحُ أُمُورَ خَلْقِهِ، الْمُصَرِّفُهُمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ). وَقَالَ قَتَادَةُ: (جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ أَمرِهِ)[(٤)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه)[(٥)].

وَقَالَ ابنُ القَيِّم رحمه الله عن ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: (هُوَ الجَبَرُوتُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ**»، فَالجَبَّارُ اسمٌ مِنْ أَسماءِ التَّعْظِيمِ كَالمُتَكَبِّرِ وَالمَلِكِ وَالعَظِيمِ وَالقَهَّارِ)[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد، والدارمي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «مختصر العلو».
(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٣) أخرجه أبو داود، والنسائي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٠٤).
(٥) تفسير السعدي (١/٩٤٦).
(٦) شفاء العليل (١/١٢١).

وقال في النونية[(١)]:

وكذلك الجبار من أوصافه	والجبر في أوصافه نوعان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا	ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعز الذي	لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العلو	فليس يدنو منه من إنسان
من قولهم جبارة للنخلة الـ	ـعليا التي فاتت لكل بنان

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ له ثلاثة معان:

الأول: جبر القوة، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله عَزَّ وَجَلَّ وجبروته وفي يده وقبضته.

الثاني: جبر الرحمة، فإنه سبحانه يجبر الضعيف بالغنى والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله.

الثالث: جبر العلو، فإنه سبحانه فوق خلقه عالٍ عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم)[(٢)].

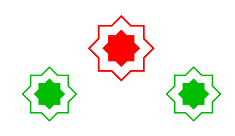
ولما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله	ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره	ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

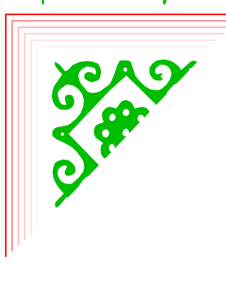
(١) (١/٢٠٩).

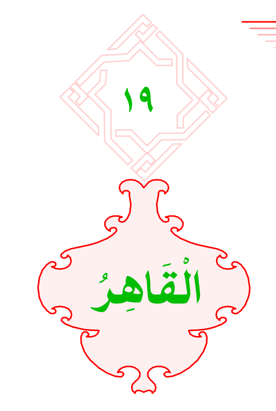
(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/١٥٩).

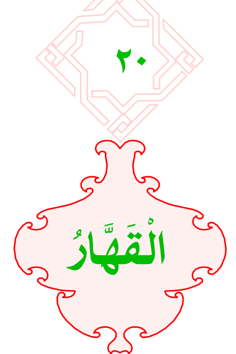
قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذلِّ والخضوع)[(١)].



(١) البداية والنهاية (١١/٢٥٨).







قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرّعد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٤﴾ [الزُّمَر].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٞۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام]: يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ﴾ نَفْسَهُ، يَقُولُ: وَاللَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ الْمُذَلِّلُ الْمُسْتَعْبِدُ خَلْقَهُ الْعَالِي عَلَيْهِمْ. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾، لِأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَى بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَمِنْ صِفَةِ كُلِّ قَاهِرٍ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ مُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِ. فَمَعْنَى الْكَلَامِ إِذَنْ: وَاللَّهُ الْغَالِبُ عِبَادَهُ، الْمُذِلُّ لَهُمْ، الْعَالِي عَلَيْهِمْ بِتَذْلِيلِهِ لَهُمْ وَخَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، فَهُوَ فَوْقَهُمْ بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَهُمْ دُونَهُ. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ يَقُولُ: وَاللَّهُ الْحَكِيمُ فِي

عُلُوِّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ بِقُدْرَتِهِ وَفِي سَائِرِ تَدْبِيرِهِ، الْخَبِيرُ بِمَصَالِحِ الْأَشْيَاءِ وَمَضَارِّهَا، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ وَبَوَادِيهَا، وَلَا يَقَعُ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَلٌ، وَلَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ دَخَلٌ)[١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] أَيْ: هُوَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَذَلَّتْ لَهُ الْجَبَابِرَةُ، وَعَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَدَانَتْ لَهُ الْخَلَائِقُ، وَتَوَاضَعَتْ لِعَظَمَةِ جَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَقُدْرَتِهِ الْأَشْيَاءُ، وَاسْتَكَانَتْ وَتَضَاءَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ وَقَهْرِهِ)[٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ؛ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بينهما؛ العزيز الغفار**»)[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، فَيَسْمَعُهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ، قَالَ: وَيَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَيَقُولُ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)[٤].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى ذلك: (لَا لِمُجَرَّدِ قُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ، بَلْ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٨٠).
(٢) (٣/ ٢٤٤).
(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، وابن حبان، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
تضوَّر: تقلب حين النوم.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٢٣٦٥).

الرَّاحِمِينَ، وَهُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَقَدْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)[(١)]. انتهى.

ويقول ابن القيم في نونيته[(٢)]:

وكذلك القهار من أوصافه	فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حيًّا عزيزًا قادرًا	ما كان من قهر ومن سلطان

ويقول أيضًا: (فَلَا يَكُونُ الْقَهَّارُ إِلَّا وَاحِدًا، إِذْ لَوْ كَانَ مَعَهُ كُفْءٌ، فَإِنْ لَمْ يَقْهَرْهُ لَمْ يَكُنْ قَهَّارًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَإِنْ قَهَرَهُ لَمْ يَكُنْ كُفُؤًا وَكَانَ الْقَهَّارُ وَاحِدًا)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (فاستبان للعقول والفِطر أن القاهر الغالب لذلك كله واحد، وأن من تمام ملكه إيجاد العالم على هذا الوجه وربط بعضه على بعض وإحواج بعضه إلى بعض وقهر بعضه ببعض وابتلاءِ بعضه ببعض، وامتزاج خيره بشرِّه، وجعل شرِّه لخيره الفداءِ)[(٤)].

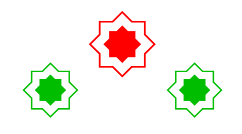
وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] فَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا مُسْتَقِرُّونَ عَلَى الْأَرْضِ، فَهِيَ فَوْقِيَّةُ قَهْرٍ وَغَلَبَةٍ، لَمْ يَلْزَمْ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] إِذْ قَدْ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ وَعِبَادُهُ لَيْسُوا مُسْتَوِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ حَتَّى تَكُونَ فَوْقِيَّةَ قَهْرٍ وَغَلَبَةٍ)[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٩).
(٢) (١/ ٢٠٩).
(٣) الصواعق المرسلة (١/ ١٦٥).
(٤) طريق الهجرتين (١/ ١٤٣).
(٥) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٤٣٢).

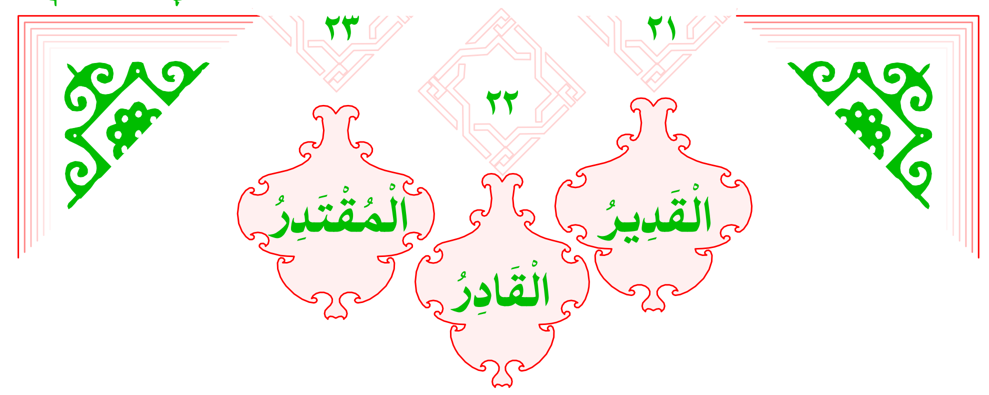
ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، القهار لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات وذلك لعزته وقوته وكمال اقتداره)(١).

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا** : (فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره، ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده)(٢).



(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/٦٩).

(٢) تفسير السعدي (ص ٤١٥).



قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يَقُولُ: (لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾، قَالَ: «هَاتَانِ أَهْوَنُ، ـ أَوْ أَيْسَرُ ـ»)[١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: (جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

ﱡٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ﱠ [الزُّمَر])[1].

وأما «القَدِيرُ»:

فقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﱡأَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞﱠ [الطّلَاق: ١٢]: (قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَإِنَّمَا وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّهُ حَذَّرَ الْمُنَافِقِينَ بَأْسَهُ وَسَطْوَتَهُ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ بِهِمْ مُحِيطٌ وَعَلَى إِذْهَابِ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ قَدِيرٌ، ثُمَّ قَالَ: فَاتَّقُونِي أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ وَاحْذَرُوا خِدَاعِي وَخِدَاعَ رَسُولِي وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِي، لَا أُحِلَّ بِكُمْ نِقْمَتِي فَإِنِّي عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدِيرٌ. وَمَعْنَى قَدِيرٍ: قَادِرٌ، كَمَا مَعْنَى عَلِيمٌ: عَالِمٌ، عَلَى مَا وَصَفْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ نَظَائِرِهِ مِنْ زِيَادَةِ مَعْنَى فَعِيلٍ عَلَى فَاعِلٍ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ)[2].

وقال عند قوله تعالى: ﱡمَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ﱠ [البَقَرَة]: (أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي قَادِرٌ عَلَى تَعْوِيضِكَ مِمَّا نَسَخْتُ مِنْ أَحْكَامِي وَغَيَّرْتُهُ مِنْ فَرَائِضِي الَّتِي كُنْتُ افْتَرَضْتُهَا عَلَيْكَ مَا أَشَاءُ مِمَّا هُوَ خَيْرٌ لَكَ وَلِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ وَأَنْفَعُ لَكَ وَلَهُمْ، إِمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا آجِلًا فِي الْآخِرَةِ. أَوْ بِأَنْ أُبَدِّلَ لَكَ وَلَهُمْ مَكَانَهُ مِثْلَهُ فِي النَّفْعِ لَهُمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا وَآجِلًا فِي الْآخِرَةِ وَشَبِيهُهُ فِي الْخِفَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ. فَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﱡقَدِيرٌﱠ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: قَوِي)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٣)، ومسلم (٢٧٨٦) واللفظ له.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨٤).
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته**[(١)]:

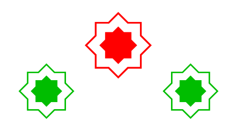
وهو القدير وليس يعجزه إذا ... ما رام شيئا قط ذو سلطان
وهو القوي له القوى جمعا تعا ... لى الله ذو الأكوان والسلطان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد)[(٢)].

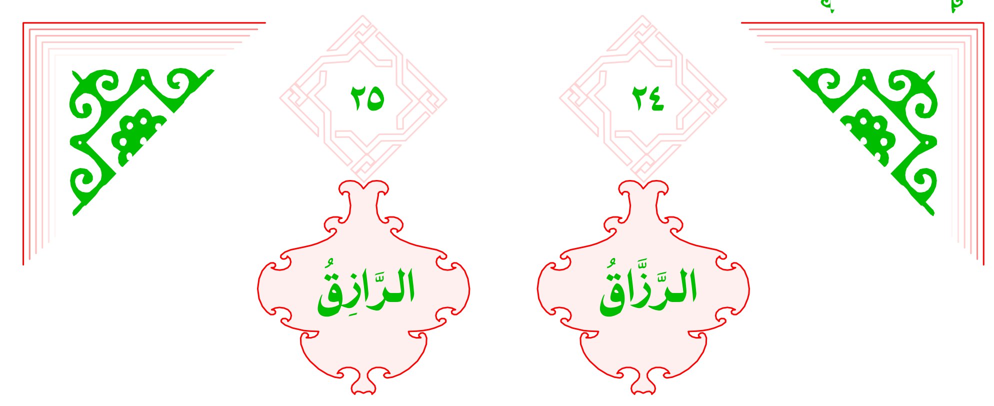
وأما «الْمُقْتَدِر»:

فقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالى**: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]: (يَقُولُ: عِنْدَ ذِي مُلْكٍ مُقْتَدِرٍ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَهُوَ اللَّهُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى)[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالقادر اسم، والقدير اسم، والمقتدر اسم، مع أنها كلها مشتقة من صفة واحدة، لأن بعضها يزيد بخصوصية عن الآخر)[(٤)].



(١) (١/ ٢٠٥).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٤٧).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٧).
(٤) المجلى شرح القواعد المثلى (١/ ١٦٠).



قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات].

واسم الرازق ثبت في السنة، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اَللَّهَ هُوَ اَلْمُسَعِّرُ، اَلْقَابِضُ، اَلْبَاسِطُ، الرَّازِقُ». وعند أحمد والترمذي بلفظ: «الرَّزَّاقُ»[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إني أنا الرزاق ذو القوة المتين﴾)[(٢)].

قال ابن جرير رحمه الله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ خَلْقَهُ، الْمُتَكَفِّلُ بِأَقْوَاتِهِمْ، ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[(٣)].

وقال ابن كثير رحمه الله: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الرُّوم: ٤٠] أَيْ: هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عُرْيَانًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ وَلَا قُوَى، ثُمَّ يَرْزُقُهُ جَمِيعَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَالرِّيَاشَ وَاللِّبَاسَ

---

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في المشكاة.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٣) تفسير الطبري (٢١/٥٥٦).

وَالْمَالَ وَالْأَمْلَاكَ وَالْمَكَاسِبَ)[(١)].

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالرِّزْقُ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُغْتَذَى بِهِ الْإِنْسَانُ؛ وَذَلِكَ يَعُمُّ رِزْقَ الدُّنْيَا وَرِزْقَ الْآخِرَةِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا افْتَقَرَ تَقِيٌّ قَطُّ، قَالُوا: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وَقَوْلُ الْقَائِلِ: قَدْ نَرَى مَنْ يَتَّقِي وَهُوَ مَحْرُومٌ، وَمَنْ هُوَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَهُوَ مَرْزُوقٌ. فَجَوَابُهُ: أَنَّ الْآيَةَ اقْتَضَتْ أَنَّ الْمُتَّقِيَ يُرْزَقُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَلَمْ تَدُلَّ عَلَى أَنَّ غَيْرَ الْمُتَّقِي لَا يُرْزَقُ؛ بَلْ لَا بُدَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦])[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات]، دليل على أنه خلقهم ليعبدوه، لا ليرزقوا ويطعموا؛ بل هو المطعم الرازق، وإطعامه لهم ورزقه إياهم، هو من جملة تدبيرهم وتصريفهم، الذي قد جعله أهل هذا القول عبادةً له، فتكون العبادة التي خُلقوا لها كونهم مرزوقين مدبرين، وهذا باطل)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في النونية**[(٤)]:

وكذلك الرزَّاق من أسمائِهِ ... والرزْقُ من أفْعَاله نوعان

رزقٌ على يدِ عَبْدِهِ ورسولِهِ ... نوعان أيضًا ذانِ معروفانِ

رِزْقُ القُلوبِ العِلمُ والإيمانُ ... والرزقُ المُعَدُّ لهذه الأبدانِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨١).

(٤) (١/ ٢١١).

هـذا هـو الـرزقُ الـحــلالُ وربُّـنَـا رَزَّاقُـه والـفَــضْـلُ لـلـمــنـانِ
والـثـانِ سَـوْقُ القُوتِ لـلأعضـاءِ في تـلـكَ الـمـجـاري سَـوْقُـه بـوِزَانِ

وقال الدكتور محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ شارح نونية ابن القيم: (ورزقه تعالى لعباده نوعان: عام وخاص.

فالعام: إيصاله لجميع خلقه كل ما يحتاجون إليه في معاشهم وقيامهم، فيسهل لهم سبيل الأرزاق ويدبرها في أجسامهم، ويسوق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، فهذا عامٌّ للبرِّ والفاجر، والمسلم والكافر بل للإنس والجن، والحيوانات كلها.

وهذا الرزق قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام، ولكنه يسمى رزقًا بهذا الاعتبار الذي هو سوقه للأعضاء وهدايتها لامتصاصه والانتفاع به، فيصح أن يقال: رزقه اللّه بهذا الاعتبار سواء ارتزق من حلال أم من حرام. وهذا يقال له مطلق الرزق.

وأما النوع الثاني: فهو الرزق المطلق أو الرزق الخاص، وهو النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي يحصل على يد الرسول ﷺ وهو نوعان:

أحدهما: رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمةً بالحق مريدة له متألهة للّه، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

والثاني: رزق الأبدان بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه، فإن الرزق الذي خصَّ به المؤمنين والذين يسألونه منه شامل للأمرين.

فينبغي للعبد إذا دعا ربّه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فإذا قال مثلًا: (اللهم ارزقني) أراد ما يصلح به قلبه من العلم

والهدى، والمعرفة والإيمان، وما يصلح به بدنه من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه، ولا تبعة تعتريه)(١).

وقال الشيخ السّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ لجميعِ عبادِهِ، فما مِنْ دابةٍ فِي الأرضِ إلّا على الله رِزقُها، ورِزْقُه لعبادِهِ نوعانِ:

رزقٌ عامٌّ شملَ البرَّ والفاجِرَ، والأولينَ والآخرينَ؛ وهو رِزْقُ الأبدان.

ورزقٌ خاصٌّ؛ وهو (رِزْقُ) القلوبِ، وتغذيتُها بالعِلمِ والإيمانِ.

والرِّزقُ الحَلالُ الذي يُعينُ على صلاحِ الدِّينِ، وهذا خاصٌّ بالمؤمنين على مراتِبهم منه بحَسبِ ما تقتضيه حكمتُه ورحمتُه)(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعطي الْمَالَ مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ لَا يُحب، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ)(٣).

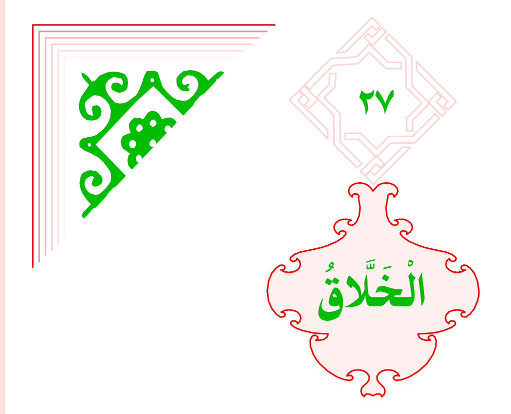
فهو الرَّازِقُ الرَّزَّاقُ، فكل رزق ديني أو دنيوي فمن فضله وجوده وإحسانه ومنِّه وكرمه، وكل مرزوق فرزقه على الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦].

وأعظم رزق يرزقه الله العبد: توحيده وإفراده بالعبادة، واتباع ما جاء به رسوله ﷺ، وسلوك سبيل المؤمنين، فمن رزق هذا فقد حاز الخير كله.

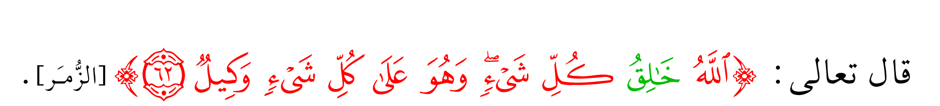
---

(١) شرح القصيدة النونية (٢/ ١١٠).
(٢) تيسير الكريم (١/ ٩٤٧).
(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (صحيح موقوف في حكم المرفوع). وأحمد والطبراني قريب منه.

٢٦ الْخَالِقُ



٢٧ الْخَلَّاقُ



قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ [الزُّمَر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحِجر].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يسٓ].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُهُ: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يسٓ: ٨١] يَقُولُ: بَلَى هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَثَلُهُمْ وَهُوَ الْخَلَّاقُ لِمَا يَشَاءُ، الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، الْعَلِيمُ بِكُلِّ مَا خَلَقَ وَيَخْلُقُ؛ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ)(١).

وقال أيضًا: (عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قَالَ: يَصْنَعُونَ وَيَصْنَعُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الصَّانِعِينَ)(٢).

وَقَال أيضًا: وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحِجر: ٨٦]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الَّذِي خَلقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِمْ وَمَا يَأْتُونَ مِنَ الْأَفْعَالِ)(٣).

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٩٠).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٥).
(٣) تفسيرُ ابن جرير (١٤/ ١٠٥).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقولُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ٨٦﴾ [الحجر] تَقْرِيرٌ لِلْمَعَادِ وَأَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِقَامَةِ السَّاعَةِ، فَإِنَّهُ الْخَلَّاقُ الذي لا يعجزه خلق شيء، الْعَلِيمُ بِمَا تَمَزَّقَ مِنَ الْأَجْسَادِ وَتَفَرَّقَ فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: («الخالق والمصور»؛ فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا على الرب، كقوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (وَشهِدت مصنوعاته ومُبتدعاته بأنه الْخَالِق الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الَّذِي لَيْسَ كمثله شَيْء، أحسن كلَّ شَيْء خلقه، وأتقن كل مَا صنعه)[(٣)].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوَّاها بحكمته، وصوَّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم)[(٤)].

ومن عظيم خَلقه أنه خلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وخلق آدم بيده، ولعظمة الخالق الخلاق الذي خلق فسوى؛ كان النبي ﷺ إذا قام من النوم يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ يقْرَأُ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠] حَتَّى يختمَ السُّورَةَ، لبديع خلق الله الموجب لحبِّه وعبادته وإخلاص العمل له.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٦٨).
(٢) شفاء العليل (١/١٣١).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/٢١١)
(٤) تفسير السعدي (١/ ٩٧٤).

وغضب الله ﷻ على من سلبه صفة الخلق؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفوًا أَحَدٌ»[1].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (غَلَا اَلسِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ، فَقَالَوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! لَو سَعَّرْتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اَللَّهَ هُوَ الخَالِقُ، اَلْقَابِضُ، اَلْبَاسِطُ، الرَّازِقُ، اَلْمُسَعِّرُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اَللَّهَ وَلا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمَظْلِمَةٍ ظَلَمْتُها إِيَّاهُ؛ فِي دَمٍ وَلاَ مَالٍ»)[2].

وكل خلق الله حسن، فتبارك الله أحسن الخالقين، ولا يخلق إلا لحكمة، كما قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

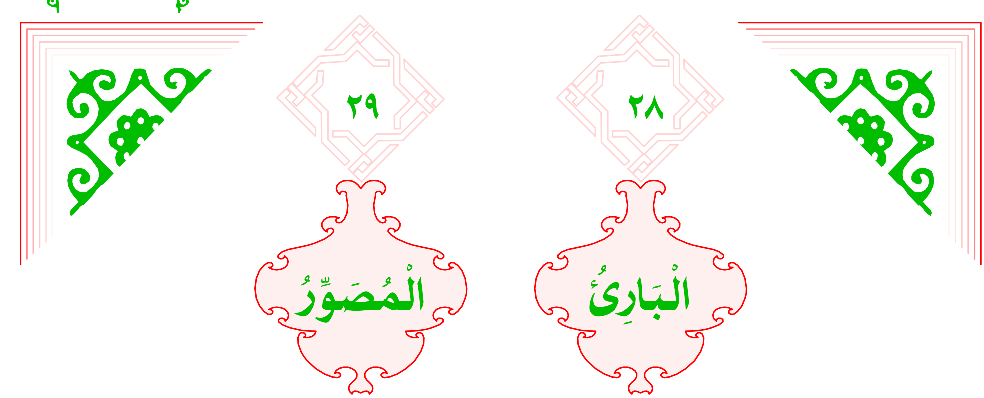
وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٩١].

ولما كان إبداع الخلق، وحسنه، وخلق ما لا يستطيعه أحد دالًّا على ربوبيته، وكمال قدرته واستحقاقه للألوهية دون ما سواه، قال لعبدة الأوثان والمشركين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحَجّ].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه أحمد، والدارمي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.



قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

قَالَ ابنُ جَرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] يَقُول تَعَالَى ذِكْره: هُوَ الْمَعْبُودُ الْخَالِق، الَّذِي لَا مَعْبُود تَصْلُح لَهُ الْعِبَادَة غَيْره، وَلَا خَالِق سِوَاهُ، الْبَارِئ الَّذِي بَرَأَ الْخَلْق، فَأَوْجَدَهُمْ بِقُدْرَتِهِ، الْمُصَوِّر خَلْقَه كَيْفَ شَاءَ، وَكَيْفَ يَشَاء. قَوْله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] يَقُول تَعَالَى ذِكْره: لِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى، وَهِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاء الَّتِي سَمَّى اللَّه بِهَا نَفْسه، الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَاتَيْنِ)[1].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] الْخَلْقُ: التَّقْدِيرُ، والبَرْءُ: هُوَ الْفَرْيُ، وَهُوَ التَّنْفِيذُ وَإِبْرَازُ مَا قَدَّرَهُ وَقَرَّرَهُ إِلَى الْوُجُودِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ قَدَّرَ شَيْئًا وَرَتَّبَهُ يَقْدِرُ عَلَى تَنْفِيذِهِ وَإِيجَادِهِ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ آخَرَ:

وَلَأَنْتَ تفري مَا خَلَقت وبعضُ الْـ ... ـقَوْمِ يَخلُق ثُمَّ لَا يَفْري

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٥).

أَيْ: أَنْتَ تُنَفِّذُ مَا خَلَقْتَ، أَيْ: قَدَّرْتَ، بِخِلَافِ غَيْرِكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ مَا يُرِيدُ. فَالْخَلْقُ: التَّقْدِيرُ. وَالْفَرْيُ: التَّنْفِيذُ. وَمِنْهُ يُقَالُ: قَدَّرَ الْجَلَّادُ ثُمَّ فَرَى، أَيْ: قَطَعَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ بِحَسَبِ مَا يُرِيدُهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] أَي: الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُ، وَالصُّورَةِ الَّتِي يَخْتَارُ. كَقَوْلِهِ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨]، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أَي: الَّذِي يُنَفِّذُ مَا يُرِيدُ إِيجَادَهُ عَلَى الصِّفَةِ التي يريدها)[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. فَذَكَرَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ، وَلَمْ يَصِفْ قَطُّ شَيْئًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ بِهَذَا لَا مَلَكًا وَلَا نَبِيًّا)[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] فهو الخالق أي: هو العالم بأحوال الممكنات والمحدثات، والبارئ: هو المحدث للأجسام والذوات بعد عدمها، والمصور أي: هو الذي ركَّب تلك الذوات على صورها المخصوصة وتركيباتها المخصوصة)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ تفصيل لمعنى اسم الخالق)[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: (هو الله، الْخَالِق، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٩).
(٢) دقائق التفسير (٢/ ٩٩).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٦٢).
(٤) شفاء العليل (١/ ١٢١).

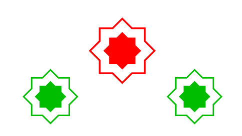
القهَّار، فَهَذِهِ أَسمَاء دَالَّة على معَانٍ هِيَ صِفَاته)[١].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْبَارِئُ﴾، الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوَّاها بحكمته، وصوَّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم)[٢].

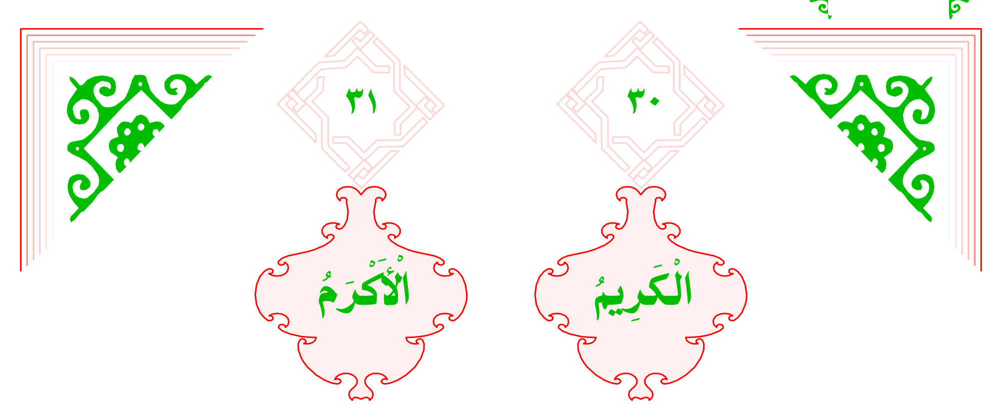
وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ)[٣].

ومن أدعية السجود:

«اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الـخَالِقِينَ»[٤].



(١) جلاء الأفهام (١/ ١٧٢).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٤٧).
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه مسلم.



قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النَّمل].

وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يديه إليه أن يردَّهما صفرًا»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لاَ

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) أخرجه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الآيَاتِ يَوْمًا عَلَى الـمِـنْـبَـرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الـزُّمـر]، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ ـ هَكَذَا بِإِصبَعِهِ يُحَرِّكُهَا ـ يُمَجِّدُ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلاَ نَفْسَهُ: «أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا العَزِيزُ، أَنَا الكَرِيمُ» فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ المنبر حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ به)(٢).

وقال ابن جرير ﵀: (﴿كَرِيمٌ﴾، وَمِنْ كَرَمِهِ إِفْضَالُهُ عَلَى مَنْ يَكْفُرُ نِعَمَهُ، وَيَجْعَلُهَا وَصِلَةً يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَعَاصِيهِ)(٣).

وقال ابن كثير ﵀: (وَهَذَا الَّذِي تَخَيَّلَهُ هَذَا الْقَائِلُ لَيْسَ بِطَائِلٍ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِاسْمِهِ ﴿ٱلْكَرِيمُ﴾؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ الْكَرِيمُ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَأَعْمَالِ السُّوءِ)(٤).

قال الشيخ السعدي ﵀: (الرحمن، الرحيم، والبر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهّاب، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل)(٥).

---

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه ابن حبان، وأحمد، وصححه الإمام الألباني ﵀.
(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٧٥).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٢).
(٥) تفسير السعدي (١/ ٩٤٦).

وعن ابن مسعود وابن عمر ﷺ، أنهما كانا يقولان بين الصفا والمروة: (اللهمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ)[١].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق] (أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علَّم بالقلم)[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]: (سَمَّى وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْكَرَمِ وَبِأَنَّهُ الْأَكْرَمُ بَعْدَ إخْبَارِهِ أَنَّهُ خَلَقَ لِيَتَبَيَّنَ أَنَّهُ يُنْعِمُ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ وَيُوصِلُهُمْ إلَى الْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى] وَكَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وَكَمَا قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٨] فَالْخَلْقُ يَتَضَمَّنُ الِابْتِدَاءَ، وَالْكَرَمُ تَضَمَّنَ الِانْتِهَاءَ، كَمَا قَالَ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾. وَلَفْظُ الْكَرَمِ لَفْظٌ جَامِعٌ لِلْمَحَاسِنِ وَالْمَحَامِدِ، لَا يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدَ الْإِعْطَاءِ؛ بَلِ الْإِعْطَاءُ مِنْ تَمَامِ مَعْنَاهُ، فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إلَى الْغَيْرِ تَمَامُ الْمَحَاسِنِ. وَالْكَرَمُ كَثْرَةُ الْخَيْرِ وَيُسْرَتُهُ. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا تسموا العنب الكرم فإنما الكرم قلب المؤمن**»)[٣].

وقال أيضًا: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْأَكْرَمُ بِصِيغَةِ التَّفْضِيلِ وَالتَّعْرِيفِ لَهَا. فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْأَكْرَمُ وَحْدَهُ بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ «وَرَبُّك أَكْرَمُ». فَإِنَّهُ لَا

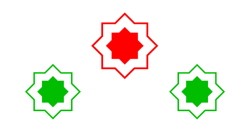
(١) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٣٠).
(٣) الفتاوى (١٦/ ٢٩٣).

يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ، وَقَوْلُهُ ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ. وَلَمْ يَقُلْ «الْأَكْرَمُ مِنْ كَذَا» بَلْ أَطْلَقَ الِاسْمَ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ الْأَكْرَمُ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِغَايَةِ الْكَرَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فَوْقَهُ وَلَا نَقْصَ فِيهِ)[(١)].ا.هـ

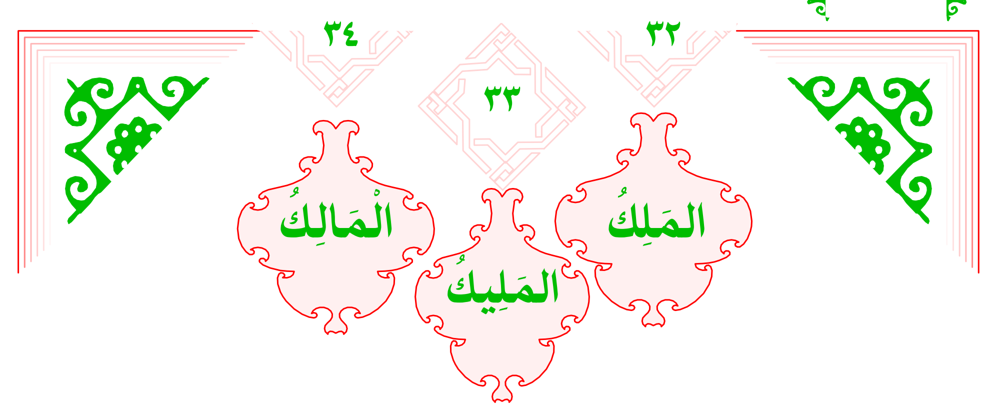
ومن كرمه وإكرامه سعة عفوه وجزيل عطائه وكثرة رزقه ودوامه، فيدُه سحاء الليل والنهار منذ خلق السموات والأرض، ومن كرمه وإكرامه لطفه بعباده على كثرة معاصيهم وإغناؤهم عن ما سواه، ومضاعفة أجر العامل أضعافًا مضاعفة، ومن اتصف بصفة حميدة جازاه الله خيرًا منها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَمَن عَامَل خَلْقَهُ بِصَفَةٍ، عَامَلَهُ الله تَعَالى بِتِلْكَ الصِّفَة بِعَينِها في الدُّنْيا والآخِرة، فَالله تَعَالى لِعَبْدِه على حَسَبِ مَا يَكُون العَبْدُ لخَلْقِه)[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن وافق الله في صفةٍ من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه، وأدخلته على ربِّه وأدنته منه وقربته من رحمته، وصيَّرته محبوبًا له، فإنه سبحانه رحيم يحبُّ الرحماء، كريم يحبُّ الكرماء، عليم يحبُّ العلماء)[(٣)].



(١) الفتاوى (١٦/ ٢٩٥).
(٢) الوابل الصيب (١/ ٣٥).
(٣) الجواب الكافي (ص٤٤).



قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦]..

وقال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ .[الفاتحة].

وقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

وقال النبي ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يمضي الثلث الأول ويقول: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ. فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضيءَ الْفَجْرُ»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عز وجل السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟»[(١)].

وقد جاء اسم «المالك» في السنةِ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللَّهُ عز وجل»[(٢)].

وجاء ذكر «المليك» في أذكار الصباح والمساء. قال صلى الله عليه وسلم: «قُل: اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ». قَالَ: «قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»[(٣)].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ لاَ مُلْكَ إِلاَّ لِلَّهِ عز وجل». وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الجامع الصغير.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِيَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي واللفظ له، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة.

أَنْتَ. لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(١).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الَّذِي لَا مَلِكَ فَوْقَهُ، وَلَا شَيْءَ إِلَّا دُونَهُ)(٢).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣] أَيِ: الْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ)(٣).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن من أسمائه: ﴿ٱلْمَلِكُ﴾، ومعناه: الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه، وهذه الصفات تستلزم سائر صفات الكمال. إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التامِّ لمن ليس له حياة ولا قدرة، ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يوصف بالمُلك من لا يأمر ولا ينهى؛ ولا يثيب ولا يعاقب؛ ولا يعطي ولا يمنع؛ ولا يعزُّ ولا يذل؛ ولا يهين ولا يكرم؛ ولا ينعم ولا ينتقم؛ ولا يخفض ولا يرفع، ولا يرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ولا يتقدم إلى عبيده بأوامره ونواهيه؟ فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك؟

وبهذا يتبيَّن أن المعطلين لأسمائه وصفاته: جعلوا مماليكه أكمل منه، ويأنف أحدهم أن يقال في أمره وملكه ما يقوله هو في ربِّه، فصفة ملكه الحق مستلزمة لوجود ما لا يتمُّ التصرف إلا به، والكل منه سبحانه،

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٩).

فلم يتوقف كمال ملكه على غيره، فإن كل ما سواه مسند إليه؛ متوقف في وجوده على مشيئته وخلقه)[(١)].

ويقول أيضًا: (إن حقيقة الملك: إنما تتمُّ بالعطاء والمنع؛ والإكرام والإهانة؛ والإثابة والعقوبة؛ والغضب والرضا؛ والتولية والعزل؛ وإعزاز من يليق به العز، وإذلال من يليق به الذل. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عِمرَان]، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرَّحمـٰن]، يغفر ذنبًا؛ ويفرج كربًا؛ ويكشف غمًّا، وينصر مظلومًا؛ ويأخذ ظالمًا، ويفك عانيًا؛ ويغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا؛ ويشفي مريضًا، ويقيل عثرة؛ ويستر عورة، ويعزُّ ذليلًا؛ ويذل عزيزًا؛ ويعطي سائلًا، ويذهب بدولة ويأتي بأخرى؛ ويداول الأيام بين الناس؛ ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، ويسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها؛ فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر، بل كلٌّ منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه؛ وجرى به قلمه؛ ونفذ فيه حكمه؛ وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده؛ تصرف ملك قادر قاهر، عادل رحيم، تامِّ الملك؛ لا ينازعه في ملكه منازع؛ ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان؛ والحكمة والمصلحة والرحمة؛ فلا يخرج تصرفه عن ذلك)[(٢)].

---

(١) شفاء العليل (١/ ٥٥٣).

(٢) طريق الهجرتين (١/ ١٢٣).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي فيتصرَّف في خلقه بقوله وأمره، وهذا هو الفرق بين الملك والمالك ؛ إذ المالك هو المتصرِّف بفعله، والملك هو المتصرِّف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرِّف بفعله وأمره)[١]. ا. هـ

ولذلك حمى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد فقال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ**»[٢].

وزاد مسلم: زَادَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ: «**لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ».

قَالَ الأَشْعَثِيُّ : قَالَ سُفْيَانُ : مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وقَالَ الإمام أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: سَأَلْتُ أَبَا عَمْرٍو عَنْ أَخْنَعَ ؟ فَقَالَ : (أَوْضَعَ).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (اسْتُدِلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّسَمِّي بِهَذَا الاِسْمِ؛ لِوُرُودِ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَيَلْتَحِقُ بِهِ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُ: خَالِقِ الْخَلْقِ، وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَسُلْطَانِ السَّلاَطِينِ، وَأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ، وَقِيلَ: يَلْتَحِقُ بِهِ أَيْضًا مَنْ تَسَمَّى بِشَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ : كَالرَّحْمَنِ، وَالْقُدُّوسِ، وَالْجَبَّارِ)[٣].

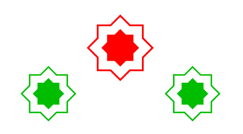
وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي**

(١) بدائع الفوائد (٤/ ٩٧٢).

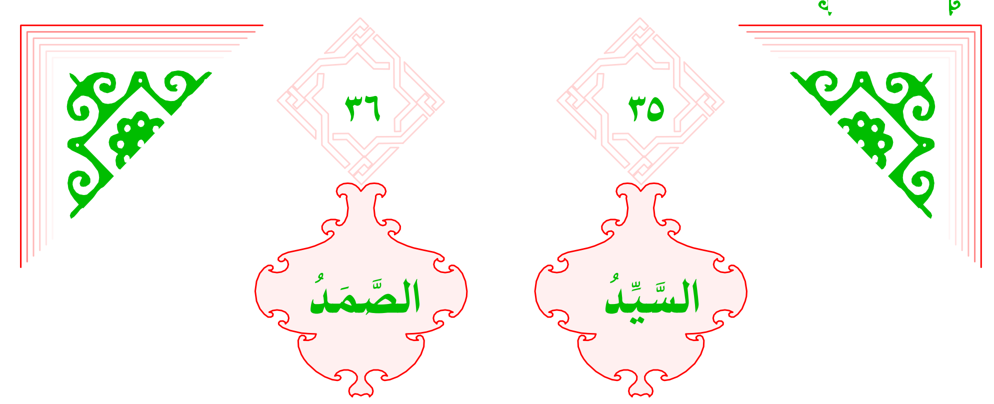
(٢) متفق عليه.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).

عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة]، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)[1].



(١) أخرجه مسلم.



قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: (انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾)[(١)].

وعَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: (انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنْتَ سَيِّدُنَا قَالَ: «**السَّيِّدُ اللَّهُ**». قَالُوا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَولًا. قَالَ: فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»)[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِك، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِك، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ**». كُفُؤًا وَكَفِيئًا وَكِفَاءً وَاحِدٌ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله.
(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في المشكاة.
(٣) أخرجه البخاري.

وعن بريدة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يقول: «اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأني أَشْهَدُ أنَّكَ أنْتَ الله، لا إلهَ إلا أنتَ، الأحَدُ الصَّمَدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكن له كُفُوًا أحَدٌ»، فقال: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأَعظَم، بَاسْمِهِ الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعيَ به أَجاب**»[1].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**»[2].

قال ابن جرير رحمه الله: (وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ بِأَجْوَف، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ)[3].

ذكر من قال ذلك:

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ (الْمُصْمَتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ)[4].

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ (الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ)[5].

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ (الَّذِي لَا يُطْعِمُ الطَّعَامَ)[6].

وقال ابن جرير رحمه الله: (﴿ٱلصَّمَدُ﴾ عِنْدَ الْعَرَبِ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ، الَّذِي لَا أَحَدَ فَوْقَهُ، وَكَذَلِكَ تُسَمِّي أَشْرَافَهَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدْ
بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ)[7]

---

(١) أخرجه أبو داود، واللفظ له، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري.
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣١).
(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في ظلال الجنة.
(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣١).
(٦) تفسير الطبري (٢٥/ ٧٣٣)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في ظلال الجنة: إسناده صحيح مقطوع.
(٧) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣٦).

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ ﵄ في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ قال: («السَّيِّدُ» الَّذي قد كَمُلَ في سؤددِهِ، والشَّريفُ الَّذي قد كمُلَ في شرفِهِ، والعظيمُ الَّذي قد كمُلَ في عظمتِهِ، والحَكيمُ الَّذي قد كمُلَ في حِكمتِهِ، والغنيُّ الَّذي قد كمُلَ في غناهُ، والجبَّارُ الَّذي قد كمُلَ في جبروتِهِ، والعالمُ الَّذي قد كمُلَ في علمِهِ، والحليمُ الَّذي قد كمُلَ في حلمِهِ، وَهوَ الَّذي قد كمُلَ في أنواعِ الشَّرفِ والسُّؤددِ، وَهوَ اللَّهُ ﷻ هذِهِ صفةٌ لا تنبغي إلَّا لَهُ، ليسَ لَهُ كفؤٌ وليسَ كمثلِهِ شيءٌ سبحانَهُ الواحدُ)[١].

وقال ابن تيمية ﵀: (اسْمُهُ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ يَتَضَمَّنُ اتِّصَافَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَفْيِ النَّقَائِصِ عَنْهُ، وَاسْمُهُ الْأَحَدُ يَتَضَمَّنُ اتِّصَافَهُ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ)[٢].

وقال ابن تيمية ﵀ أيضًا: (وَالْوَصْف بِـ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ يشعرُ بِأَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي لَا يُقْصَدُ فِي الْوُجُودِ لِلْحَوَائِجِ سِوَاهُ)[٣].

وقال ابن تيمية ﵀ أيضًا: (وَالْمُصْمَتُ الصَّمَدُ أَكْمَلُ مِنَ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ، وَلِهَذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ صمدًا لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ، وَكُلُّ نَقْصٍ تَنَزَّهَ عَنْهُ الْمَخْلُوقُ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِتَنْزِيهِهِ عَنْ ذَلِكَ، وَالسَّمْعُ قَدْ نَفَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وَالصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ نَسَبُ الرَّحْمَنِ أَوْ هِيَ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ)[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/٧٣٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٤).

(٢) الفرقانُ بينَ أولياءِ الرَّحمَنِ وأولياءِ الشَّيْطانِ (١/ ٢٤٥).

(٣) الفتاوى (١٧/ ١١٤).

(٤) الفتاوى (١/ ٨٦).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: («السيد» إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى: المالك، والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم)[١].

وقال في النونية[٢]:

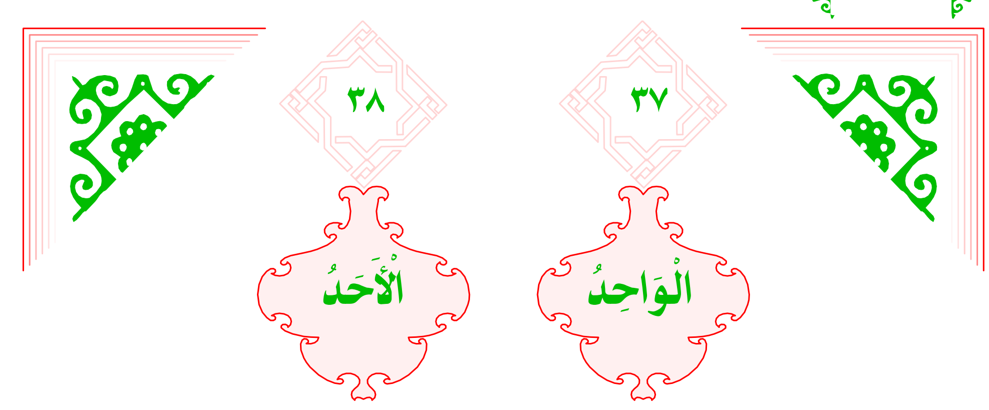
وهو الإله السيد الصمد الذي ... صمدت إليه الخلق بالإذعان
الكامل الأوصاف من كل الوجوه ... كماله ما فيه من نقصان

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلصَّمَدُ﴾: فسِّر بمعنيين عند العلماء: أحدهما: أنه الذي لا جوف له ليس من جنس المخلوقين، المخلوق له جوف يأكل ويشرب ويطعم، والله لا جوف له مصمت، كما قال تعالى: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وكله فسر بالصمد.

وفسر ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ بمعنى آخر: وهو أنه تصمد إليه الخلائق في حاجاتها وترجوه وتسأله وتضرع إليه في حاجاتها سبحانه، وكلُّه حق، هو الصمد لا جوف له، وهو الصمد ترفع إليه الحاجات جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، إذا أردت تقول للرؤساء المقصودين: صمد؛ لأنه يقصد في طلب الحاجات، والله سبحانه هو الذي يقصد من جميع الخلائق طلب الحاجة، وهو سبحانه لا يطعم ولا يحتاج إلى طعام ولا إلى شراب وليس من جنس المخلوقين، أو يحتاج إلى غذاء؛ بل هو الغني عن كل ما سواه وهو يُطعِم ولا يطعَم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)[٣].

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٧٣٠).
(٢) (١/ ٢٠٩).
(٣) فتاوى نور على الدرب.



قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البَقَرَة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرّعد].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [المَائدة: ٧٣].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الطَّاعَةَ لَهُ، وَيَسْتَوْجِبُ مِنْكُمُ الْعِبَادَةَ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ وَرَبٌّ وَاحِدٌ، فَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ سِوَاهُ، فَإِنَّ مَنْ تُشْرِكُونَهُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ إِلَهِكُمْ مِثْلُكُمْ، وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ)[١].

---

(١) تفسير ابن جرير (٣/ ٢٦٥).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَ«الْأَحَدُ» الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، فَاسْمُهُ الصَّمَدُ يَتَضَمَّنُ اتِّصَافَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَفْيِ النَّقَائِصِ عَنْهُ، وَاسْمُهُ الْأَحَدُ يَتَضَمَّنُ اتِّصَافَهُ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ)(١).

وقال ابن تيمية أيضًا: («الْأَحَدُ» يَتَضَمَّنُ نَفْيَ الْمِثْلِ)(٢).

وقال ابن تيمية أيضًا: (الِاسْمَانِ اللَّذَانِ يَتَّفِقُ مَعْنَاهُمَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا مَقَامَ صَاحِبِهِ كَـ «الْأَحَدِ» وَ«الْوَاحِدِ»)(٣).

وقال أيضًا: (وَقَوْلُهُ: «الْأَحَدُ» يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ مَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَضَمَّنَ مَعْنًى ثُبُوتِيًّا. فَالْكَمَالُ هُوَ فِي الْوُجُودِ وَالثُّبُوتِ، وَالنَّفْيُ مَقْصُودُهُ نَفْيُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ. فَإِذَا نُفِيَ النَّقِيضُ الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ وَالسَّلْبُ لَزِمَ ثُبُوتُ النَّقِيضِ الْآخَرِ الَّذِي هُوَ الْوُجُودُ وَالثُّبُوتُ... ـ إلى أن قال: ـ والوحدانية تَقْتَضِي الْكَمَالَ وَالشَّرِكَةُ تَقْتَضِي النَّقْصَ)(٤).

وقال ابن تيمية أيضًا: (واسمه «الْأَحَدُ» يقتضي التوحيد، والصمد يقتضي الاجتماع وعدم التفرق؛ فإن الصمد فيه معنى الاجتماع وعدم التفريق، والتوحيد أبدًا قرين الاجتماع لأن الاجتماع فيه الوحدة والتفرق لابد فيه من التثنية والتعدد كما أن الإشراك مقرون بالتفرق)(٥).

(١) الفرقانُ بينَ أولياءِ الرَّحمَنِ وأولياءِ الشَّيْطانِ (١/ ٢٤٥).
(٢) الفتاوى (٥/ ٣٢٩).
(٣) الفتاوى (٦/ ٣٨٩).
(٤) الفتاوى (١٦/ ٩٩).
(٥) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣١٠).

وقال ابن تيمية أيضًا: (لَفْظ «الْأَحَد» لَمْ يُوصَفْ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْيَانِ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ اللَّهِ فِي النَّفْيِ)[1].

وقال ابن تيمية أيضًا: («أَحَدٌ» فَإِنَّ «الْأَحَدَ» هُوَ الَّذِي لَا كُفُؤَ لَه وَلَا نَظِيرَ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ لَه صَاحِبَةٌ، وَالتَّوَلُّدُ إنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] فَنَفَى سُبْحَانَهُ الْوَلَدَ بِامْتِنَاعِ لَازِمِهِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ انْتِفَاءَ اللَّازِمِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَلْزُومِ وَبِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ كُلُّ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ لَهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مَوْلُودٌ لَهُ)[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النّاس] فإن الله لا يستعيذ من أحد وذلك عليه محال بخلاف قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] فإنه خبر عن توحيده، وهو سبحانه يخبر عن نفسه بأنه الواحد الأحد، فتأمل هذه النكتة البديعة، والله المستعان)[3].

وقال ابن القيم أيضًا[4]:

فلواحد كن واحدًا في واحد ... أعني سبيل الحق والإيمان

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: («الواحد، الْأَحَدُ»: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقلًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرُّده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة)[5].

---

(١) الفتاوى (١٧/ ٢٣٧).

(٢) رِسَالَةٌ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ (١/ ١٢).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٣٩٨).

(٤) النونية (١/ ٢١٩).

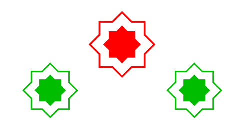
(٥) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٤٥).

وروى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه نحو اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى**»(١).

(وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ؛ قَالَ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بينهما؛ العزيز الغفار**»)(٢).

وعندما سمع الصحابي الذي قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ**» ثَلاَثًا(٣).

ولما كانت سورة «الإخلاص» مشتملة على الوحدانية، مع ما اشتملت عليه من دلائل التوحيد العلمي وصفات الرب، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**»(٤).



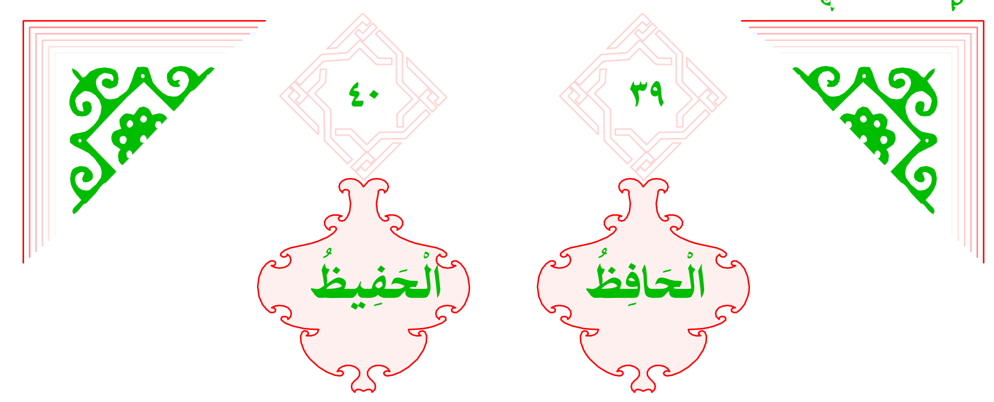
---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، وابن حبان، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
تضوَّر: تقلب حين النوم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٤) متفق عليه، واللفظ للبخاري.



قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سَبَإ: ٢١].

وقوله سبحانه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٦٤].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هُود: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الشّورىٰ: ٦].

وفي الحديث: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ. احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[(١)].

وعن ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي ـ وَقَالَ عُثْمَانُ: عَوْرَاتِي ـ وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ

---

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في المشكاة.

بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»)(١).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعَام: ١٠٤] يَقُولُ: وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِرَقِيبٍ أُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَاللَّهُ الْحَفِيظُ عَلَيْكُمُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ)(٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وحفظُ اللَّهِ لعبدِهِ يدخلُ فيه نوعانِ:

أحدُهما: حفظُه له في مصالح دنياهُ، كحفظِهِ في بدنِهِ وولدِهِ وأهلِهِ ومالِهِ.

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرّعد: ١١].

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (هم الملائكةُ يحفظونَهُ بأمرِ اللَّهِ، فإذَا جاءَ القدرُ خلَّوا عنهُ). وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنَّ مع كلِّ رجل ملكينِ يحفظانِهِ مما لم يقدَّر، فإذا جاءَ القدرُ خلَّيا بينهُ وبينهُ، وإنَّ الأجل جُنَّة حصينة)(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته(٤):

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـ ... ـلُ بحفظهم من كل أمر عان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (و«الحفيظ» يتضمن معنيين:

والمعنى الثاني من معنيَي الحفيظ: أنه تعالى الحافظ لعباده من

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الترغيب.
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٧٠).
(٣) جامع العلوم والحكم (٢٠/ ٧).
(٤) (١/ ٧١٨).

جميع ما يكرهون، وحفظه لخلقه نوعان: عام وخاص: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. أي: هدى كل مخلوق إلى ما قدر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره، والمضار، وهذا يشترك فيه البرُّ والفاجر بل الحيوانات، وغيرها، فهو الذي يحفظ السماوات والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشُّبه، والفتن، والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم)[1].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: («الحفيظ» الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمُه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها)[2]. ا.هـ.

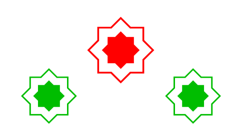
ولذلك قال يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٦٤]. فحفظ الله ذريته في دينهم ودنياهم.

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (٣/ ٣١).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٤٧).

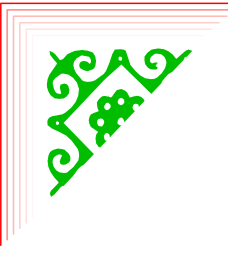
والله لا يعجزه حفظ شيء سبحانه كما أخبر عن نفسه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

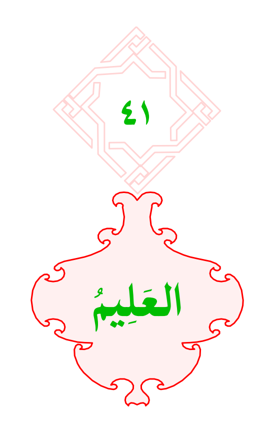
وأعظم ما يحفظ الله على عبده: قلبه عن الزيغ عن التوحيد والسنة والمنهاج.

ومن حفظ الله لعبده، حفظه حتى في نومه، كما في الحديث: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فَلَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ**»[(١)].



(١) أخرجه البخاري.





قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ [البَقَرَة: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣﴾ [الأنعام: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢١٥﴾ [البَقَرَة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التّحريم: ٣].

وقد ورد الدعاء باسمه «العليم» في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ [البَقَرَة: ١٢٧].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مفاتحُ الغيب خمسٌ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]»[(١)].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: كنتُ معَ النبيِّ ﷺ في المسجدِ عِندَ غُروبِ الشمسِ، فقال: «**يا أبا ذَرٍّ، أتدري أينَ تغرُبُ الشمسُ؟**». قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «**فإنها تَذهَبُ حتى تَسجُدَ تحتَ العرشِ، فذلك قولُه تعالى**: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس]»[(٢)].

وعن رجل من الصحابة: لمَّا أمرَ النَّبيُّ بحَفرِ الخندقِ، عَرضَت لَهُم صخرةٌ حالَت بينَهُم وبينَ الحفرِ، فَقامَ رسولُ اللَّهِ، وأخذَ المعولَ، ووضعَ رداءَهُ ناحيةَ الخندَقِ، وقالَ: «﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ فَندرَ ثلثُ الحجرِ، وسَلمانُ الفارسيُّ قائمٌ ينظرُ، فبرَقَ معَ ضربةِ رسولِ اللَّهِ برقةٌ، ثمَّ ضربَ الثَّانيةَ، وقالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾، فندرَ الثُّلثُ الآخرُ، فبرقت برقةٌ فرآها سَلمانُ، ثمَّ ضربَ الثَّالثةَ، وقالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾، فندر الثُّلثُ الباقي، وخرجَ رسولُ اللَّهِ، فأخذَ رداءَهُ وجلَسَ، قالَ سلمانُ: يا رسولَ اللَّهِ، رأيتُكَ حينَ ضربتَ، ما تضربُ ضربةً إلَّا كانت مَعهَا بَرْقَةٌ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يا سَلْمَانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟**» فَقَالَ: إي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «**فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي**

(١) أخرجه البخاري.
(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري.

مَدائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ» قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، «**ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ. «**ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ**». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**»(١).

وكان النبي ﷺ يفتتح صلاته بالاستعاذة بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**» ثُمَّ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثَلاَثًا**» ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ثَلاَثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ، ثُمَّ يَقْرَأُ**»(٢).

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا ريب أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون، ثم إذا كان: فهل يتجدد له علم آخر؟ أم علمه به معدومًا هو علمه به موجودًا؟ هذا فيه نزاع بين النظار، وأي القولين كان صحيحًا حصل به الجواب.

وإذا قال قائل: القول الأول هو الذي يدل عليه صريح المعقول والثاني باطل والإشكال يلزم على الأول.

(١) أخرجه النسائي بهذا اللفظ، وعند أبي داود مختصرًا: «**دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم**»، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قيل له: وإذا كان هو الذي يدلُّ عليه صريح المعقول فهو الذي يدل عليه صحيح المنقول، وعليه دلَّ القرآن في أكثر من عشرة مواضع، وهو الذي جاءت به الآثار عن السلف، وما أورد عليه من الإشكال فهو باطل)[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (اسْمُهُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ هُوَ الرَّبُّ الْعَلِيمُ الَّذِي الْعِلْمُ صِفَةٌ لَهُ فَلَيْسَ الْعِلْمُ هُوَ الْمُسَمَّى ؛ بَل الْمُسَمَّى هُوَ الْعَلِيمُ)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة أو يغيب عنه معلوم من المعلومات، وكذلك سائر صفاته على هذا)[٣].

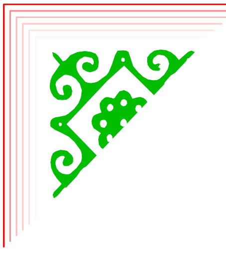
ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في النونية**[٤]:

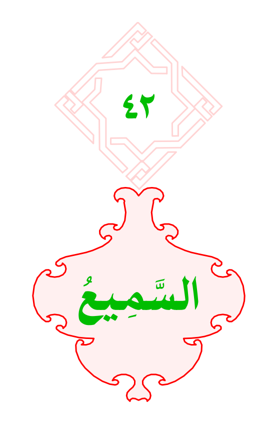
وَهُوَ العليمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي	في الكونِ مِنْ سِرٍّ ومنْ إِعْلانِ
وبكلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ	فهوَ المحيطُ وليسَ ذا نِسْيَانِ
وكذاكَ يَعْلَمُ ما يَكُونُ غَدًا وما	قدْ كانَ والموجودَ في ذا الآنِ
وكذاكَ أَمْرٌ لمْ يَكُنْ لوْ كانَ كيـ	ـفَ يكونُ ذاكَ الأمرُ ذا إِمْكَانِ

ولما ذكر لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من ينفون علم الله المطلق قال قولته المشهورة: (إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)[٥].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢١٢).
(٢) الفتاوى (٦/ ٢٠١).
(٣) أحكام أهل الذمة (٣/ ١٩٦).
(٤) (١/ ٢٠٤).
(٥) أخرجه مسلم.





قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١]

وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يُوسُف].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ [العَنكبوت].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم].

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ ـ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ ـ كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فُصّلت: ٢٢] الآيَةَ)[1].

وعن عبد الله بن يَزِيدَ الْمُقْرِئ حدثنا حَرْمَلَةُ ـ يَعْنِي ابْنَ عِمْرَانَ ـ حدثني أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ. قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا)[2].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعري ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»**[3].

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.
(٢) أخرجه أبو داود، وقال الإمام الألباني ﷺ: صحيح الإسناد.
(٣) متفق عليه.

وعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَال: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»[(١)].

وقد اقترن اسم الله «السميع» بـ «العليم» كثيرًا في القرآن؛ لعظم دلالة اقتران هذين الاسمين، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ تَشْكُو زَوْجَهَا وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١])[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. يَسْمَعُ ضَجِيجَ الْأَصْوَاتِ بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ عَلَى تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ، لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ وَلَا تُغَلِّطُهُ الْمَسَائِلُ)[(٣)].

وقال أيضًا رحمه الله: (وَسَمَّى نَفْسَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء] وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا فَقَالَ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان] وَلَيْسَ السَّمِيعُ كَالسَّمِيعِ وَلَا الْبَصِيرُ كَالْبَصِيرِ)[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي واللفظ له، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه ابن ماجه واللفظ له، والنسائي، والبخاري معلقًا، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٣) الفتاوى (١/ ١٢٧).

(٤) الفتاوى (٣/ ١١).

وذكر **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن السمع يراد به أربعة معان:

أحدُهَا: سَمْعُ إدْرَاكٍ؛ ومُتَعَلَّقُهُ الأصواتُ.

الثاني: سَمْعُ فَهْمٍ وعَقْلٍ؛ ومُتَعَلَّقُهُ المعاني.

الثالثُ: سَمْعُ إجابةٍ وإعطاءِ ما سُئِلَ.

الرابعُ: سَمْعُ قَبُولٍ وانْقِيَادٍ.

فمن الأول: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] و﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٨١] ومن الثاني قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ﴾ [البقرة: ١٠٤] ليس المراد سمع مجرد الكلام؛ بل سمع الفهم والعقل، ومنه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ومن الثالث: «سمع الله لمن حمده» وفي الدعاء المأثور: «اللهم اسمع» أي أجب وأعط ما سألتك. ومن الرابع قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١] أي قابلون له ومنقادون غير منكرين له ومنه على أصح القولين: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ﴾ [التوبة: ٤٧] أي قابلون ومنقادون)[١].

وقال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ [وأنه] ليخفى عليّ بعض كلامها، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: ١]»)[٢].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥).

(٢) طريق الهجرتين (١/ ١٢٨).

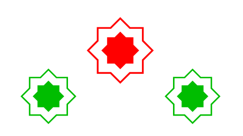
وقال في النونية(١):

وهو السميع يسمع ويرى كل ما | في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر | فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا | يخفى عليه بعيدها والداني

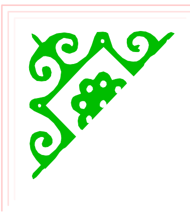
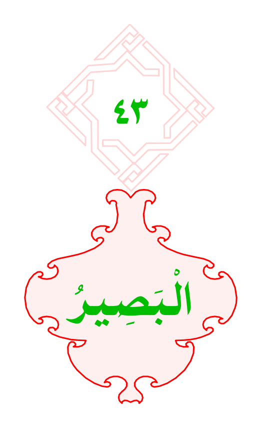
ومن كمال صفاته سبحانه أنه يسمع السرَّ وأخفى، ويرى ويسمع دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ليلة ظلماء، كما في قوله سبحانه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمَان: ١٦].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه، فقال: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ﴾ [المُلك: ١٣]، أي: كلها سواء لديه، لا يخفى عليه منها خافية، فـ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفَال: ٤٣] أي: بما فيها من النيات والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال التي تُسمع وترى؟!)(٢).

وقال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن السرَّ والجهر عنده سواء، وأن الاختفاء والظهور عنده أيضًا سواء؛ لأنه يسمع السرَّ كما يسمع الجهر، ويعلم الخفيَّ كما يعلم الظاهر)(٣).



(١) (١/ ٢٠٣).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٨٧٦).
(٣) أضواء البيان (٣٠/ ١٤).

٤٣
البَصِيرُ

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسرَاء].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العَلق: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غَافر: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُم**»(١).

(١) أخرجه البخاري، ومسلم واللفظ له.

وجاء في حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(١)].

وأعلى مراتب الدين: الإحسان؛ لكمال المراقبة والافتقار والذلِّ والانكسار.

وقال رسول الله ﷺ: «**وَأَنَّ اللَّهَ لَيسَ بِأَعْوَرَ**»[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتاوى»: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. قَالَ حَنْبَلٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، بَصِيرٌ بِلَا حَدٍّ وَلَا تَقْدِيرٍ، وَلَا يَبْلُغُهُ الْوَاصِفُونَ، وَصِفَاتُهُ مِنْهُ وَلَهُ وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، وَلَا تَبْلُغُهُ صِفَةَ الْوَاصِفِينَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ بِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ وَوَصْفٍ وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ كَلَامٍ وَنُزُولٍ وَخُلُوِّهِ بِعَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَضْعِهِ كَنَفَهُ عَلَيْهِ. هَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ)[(٣)].

وقال أيضًا: (وَقَالَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢] فَدَلَّ عَلَى أَنَّ السَّمِيعَ الْبَصِيرَ الْغَنِيَّ أَكْمَلُ وَأَنَّ الْمَعْبُودَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ)[(٤)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَدِ اسْتَدَلَّ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَيْنَيْنِ لَهُ

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) الفتاوى (٦/ ٣٨٧).
(٤) الفتاوى (٦/ ٨٢).

تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤]، وَمِمَّنْ صَرَّحَ بِذَلِكَ إِثْبَاتًا وَاسْتِدْلَالًا أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِي كُتُبِهِ كُلِّهَا، فَقَالَ فِي كِتَابِ «الْمَقَالَاتِ» وَ«الْإِبَانَةِ» وَ«الْمُوجَزِ»، وَهَذَا لَفْظُهُ فِيهَا: وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤] فَهَذَا الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُ لَمْ يَفْهَمُوا مِنَ الْأَعْيُنِ أَعْيُنًا كَثِيرَةً، وَلَا مِنَ الْأَيْدِي أَيَادٍ كَثِيرَةً عَلَى شِقٍّ وَاحِدٍ)[(١)].

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ: (السميع العليم) في «الأعراف» و«السجدة» وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالإبصار بلفظ (السميع البصير) في سورة «حم» فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غَافِر: ٥٦] لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر، وأما نزع الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويدرك بالرؤية، والله أعلم)[(٢)].

وقال ابن القيم أيضًا: (﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها، ويرى دبيبها على الصخرة الصماءِ في الليلة الظلماءِ، ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السمٰوات السبع)[(٣)].

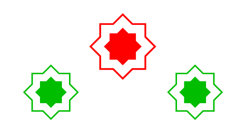
---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٣٩).
(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٤).
(٣) مدارج السالكين (١/ ١٢٧).

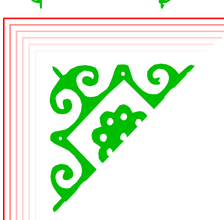
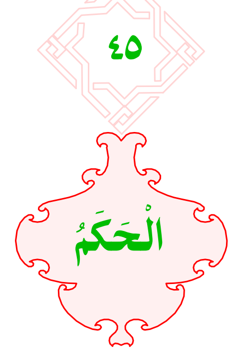
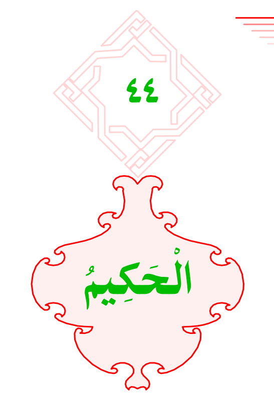
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية[١]:

وَهُوَ البَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ ... السَّوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَّانِ
وَيَرَى مَجَارِي القُوتِ فِي أَعْضَائِهَا ... وَيَرَى عُرُوقَ بَيَاضِهَا بِعِيَانِ
وَيَرَى خِيَانَاتِ العُيُونِ بِلَحْظِهَا ... وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: الذي يبصر كل شيء وإن دقَّ وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السمٰوات السبع. وأيضًا سميع بصير بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة)[٢].



(١) (١/٢٠٤).
(٢) تفسير السعدي (١/٩٤٦).

٤٤ الْحَكِيمُ ٤٥ الْحَكَمُ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وروى أبو داود في «سننه» من حديث هانئ بن يزيد رضي الله عنه (لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ، سَمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»)[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ وَإِنَّ نَاسًا يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]».

---

(١) أخرجه أبو داود، والنسائي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ، إِلَّا قَالَ: (اللَّهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ)[١].

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **«لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»**.

والحكمة هبة من الحكيم يؤتيها من يشاء.

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، أَيْ قُلْ: فَلَيْسَ لِي أَنْ أَتَعَدَّى حُكْمَهُ وَأَتَجَاوَزَهُ، لِأَنَّهُ لَا حُكْمَ أَعْدَلَ مِنْهُ، وَلَا قَائِلَ أَصْدَقَ مِنْهُ)[٢].

وقال رحمه الله **أيضًا**: (وَالْحَكِيمُ: الَّذِي لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ)[٣].

وقال أيضًا: (﴿حَكِيمٌ﴾، فِيمَا قَضَى بَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ قَضَايَاهِ)[٤].

وقال ابن كثير رحمه الله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، فَيَضَعُ الأشياء في محالها لعلمه وحكمته وعدله)[٥].

وقال ابن كثير رحمه الله **أيضًا**: وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين] أَيْ: أَمَا هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا)[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود، وقال الإمام الألباني رحمه الله: صحيح الإسناد موقوف.
(٢) تفسير الطبري (٩/٥٠٦).
(٣) تفسير الطبري (٢/٥٧٨).
(٤) تفسير الطبري (٤/٤٠٩).
(٥) تفسير ابن كثير (١/٣١٨).
(٦) تفسير ابن كثير (٨/٤٢٠).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ يَتَضَمَّنُ حُكْمُهُ وَعِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ فِيمَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ، فَإِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ كَانَ حَسَنًا، وَإِذَا أَخْبَرَ بِخَبَرٍ كَانَ صِدْقًا، وَإِذَا أَرَادَ خَلْقَ شَيْءٍ كَانَ صَوَابًا، فَهُوَ حَكِيمٌ فِي إِرَادَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي كُلِّ مَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَحِكْمَةٍ بَاهِرَةٍ تعْجِزُ الْعُقُولُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِكُنْهِهَا، وَتَكِلُّ الْأَلْسُنُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (أرسل رسله وأنزل كتبه وأقام على عباده الحجة البالغة، وأتمَّ عليهم نعمته السابغة، يهدي من يشاء منه نعمة وفضلًا ويضلُّ من يشاء حكمةً منه وعدلًا . . ـ إلى أن قال: ـ وينكشف له في هذا النور عدله وحكمته ورحمته ولطفه وإحسانه وبرّه في شرعه وأحكامه، وأنها أحكام رب رحيم محسن لطيف حكيم قد بهرت حكمته العقول وأقرت بها الفطر وشهدت لمنزلها بالوحدانية ولمن جاء بها بالرسالة والنبوة)[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (فَحِلْمُهُ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَعَفْوُهُ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَمَغْفِرَتُهُ عَنْ كَمَالِ عِزَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ، كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة] أَيْ: فَمَغْفِرَتُكَ عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِكَ وَحِكْمَتِكَ، لَسْتَ كَمَنْ يَغْفِرُ عَجْزًا، وَيُسَامِحُ جَهْلًا بِقَدْرِ الْحَقِّ؛ بَلْ أَنْتَ عَلِيمٌ بِحَقِّكَ، قَادِرٌ عَلَى اسْتِيفَائِهِ، حَكِيمٌ فِي الْأَخْذِ بِهِ. فَمَنْ تَأَمَّلَ سَرَيَانَ آثَارِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الْعَالَمِ، وَفِي الْأَمْرِ، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَصْدَرَ

---

(١) الفتاوى (١٤/ ١٨٠).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٠٩).
(٣) شفاء العليل (١/ ١٠٩).

قَضَاءِ هَذِهِ الْجِنَايَاتِ مِنَ الْعَبِيدِ، وَتَقْدِيرُهَا: هُوَ مِنْ كَمَالِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ. وَغَايَاتُهَا أَيْضًا: مُقْتَضَى حَمْدِهِ وَمَجْدِهِ، كَمَا هُوَ مُقْتَضَى رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

فَلَهُ فِي كُلِّ مَا قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْآيَاتُ الْبَاهِرَةُ، وَالتَّعَرُّفَاتُ إِلَى عِبَادِهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَاسْتِدْعَاءُ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ، وَذِكْرِهِمْ لَهُ، وَشُكْرِهِمْ لَهُ، وَتَعَبُّدِهِمْ لَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، إِذْ كُلُّ اسْمٍ فَلَهُ تَعَبُّدٌ مُخْتَصٌّ بِهِ، عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَحَالًا، وَأَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، فَلَا تَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمٍ آخَرَ)[1].

وقال **الشيخ السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه، والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها)[2] انتهى.

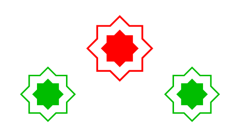
وقال **الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: (آمنوا بأن الله حكيم، يضع الأمور في مواضعها، فلم يخلق خلقًا عبثًا، ولم يشرع شرعًا سفهًا، فكل ما قضاه وقدره فلحكمة، وكل ما شرعه لعباده من أمر ونهي فلحكمة، فإذا آمنتم بذلك حقَّ الإيمان أوجب لكم أن تقفوا عند أفعال الله وأحكامه وأن لا تعترضوا على شرعه وخلقه، وأن تتأدبوا بالأدب الواجب تجاه

(١) مدارج السالكين (١/ ٤١٩)

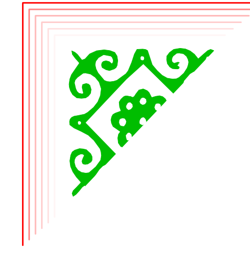
(٢) تفسير السعدي (ص ٩٤٥).

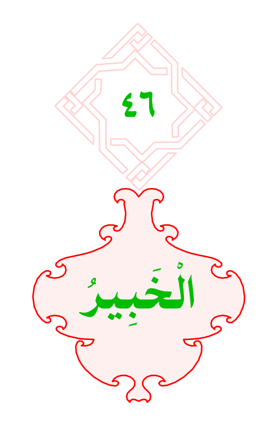
حكمة الله، فإن تبيَّنت لكم الحكمة فذلك من فضل الله ومن نعمته، وإن لم تتبين لكم الحكمة فكلوا الأمر إلى العليم الحكيم، واعرفوا كمال علم الله وحكمته ونقص علمكم وحكمتكم، وقولوا: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا. كيف يعترض على شرع الله من كان مؤمنًا بالله وعلمه وحكمته؟!)[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فـ «الحكم» و«الحكيم» من أسماء الله، فإذا سمينا شخصًا بالحكم أو الحكيم ولم نقصد معنى الحكمة فيه ولا معنى الحكم، فهنا لا بأس به، وفي الصحابة من اسمه «حكيم» وفيهم من اسمه «الحكم»)[٢].



(١) الفتاوى والرسائل (٤٩/ ١٥).
(٢) الفتاوى والرسائل (٧٠/ ١١٠).





الْخَبِيرُ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التّحريم: ٣].

وقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان].

وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**»[(١)].

قال ابنُ جرير رحمه الله في قولِهِ ﴿قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التّحريم: ٣]: (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَالَ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللَّهِ لِحَفْصَةَ: خَبَّرَنِي بِهِ الْعَلِيمُ بِسَرَائِرِ عِبَادِهِ، وَضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ، الْخَبِيرُ بِأُمُورِهِمْ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَنْهُ شَيْءٌ)[(٢)].

(١) أخرجه مسلم.
(٢) تفسير الطبري (٩٢/٢٣).

وقال أيضًا: (﴿خَبِيرٌ﴾ بِكُلِّ مَا يَعْمَلُونَهُ وَيَكْسِبُونَهُ مِنْ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ، حَافِظٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ)[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَقَالَ مَالِكٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ: خبير بخلقه، حكيم بأمره)[(٢)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كونه في نفسه لطيفًا خبيرًا، وذلك يوجب علمه بدقيق الأشياء وخفيها، ثم يقال: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ علمه بنفسه أولى من علمه بغيره، وعلمه بنفسه مستلزم لعلمه بلوازم ذاته)[(٣)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ لَطِيفٌ يُدْرِكُ الدَّقِيقَ؛ خَبِيرٌ يُدْرِكُ الْخَفِيَّ، وَهَذَا هُوَ مُقْتَضَى الْعِلْمِ بِالْأَشْيَاءِ. فَيَجِبُ وُجُودُ الْمُقْتَضَى لِوُجُودِ السَّبَبِ التَّامِّ، فَهُوَ فِي عِلْمِهِ بِالْأَشْيَاءِ مُسْتَغْنٍ بِنَفْسِهِ عَنْهَا كَمَا هُوَ غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ)[(٤)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ الَّذِي انْتَهَى عِلْمُهُ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِبَوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ وَخَفَايَاهَا كَمَا أَحَاطَ بِظَوَاهِرِهَا، فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ مَا تُخْفِيهِ الضَّمَائِرُ وَتُجِنُّهُ الصُّدُورُ)[(٥)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (وَمِنْهَا: ظُهُورُ آثَارِ أَسْمَاءِ الْحِكْمَةِ وَالْخِبْرَةِ. فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، وَيُنْزِلُهَا مَنَازِلَهَا اللَّائِقَةَ بِهَا، فَلَا يَضَعُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلَا يُنْزِلُهُ غَيْرَ

---

(١) تفسير الطبري. (٩/ ٤٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٦٣).

(٤) الفتاوى (٢/ ٢١١).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٩٤).

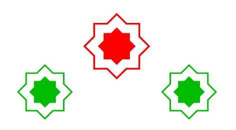
مَنْزِلتِهِ، الَّتِي يَقْتَضِيهَا كَمَالُ عِلْمِهِ وَحِكْمَتُهُ وَخِبْرَتُهُ)[(١)].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء)[(٢)].

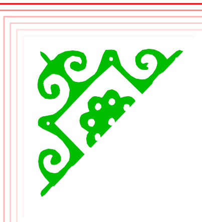
وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿خَبِيرٌ﴾ الخبرة هي العلم ببواطن الأمور، والعلم بالظواهر لا شك أنه صفة مدح وكمال، لكن العلم بالبواطن أبلغ، فيكون عليم بالظواهر، وخبير بالبواطن، فإذا اجتمع العلم والخبرة صار هذا أبلغ في الإحاطة، وقد يقال إن الخبرة لها معنى زائد عن العلم، لأن الخبير عند الناس هو العليم بالشيء الحاذق فيه، بخلاف الإنسان الذي عنده علم فقط، ولكن ليس عنده حذق، فإنه لا يسمى خبيرًا، فعلى هذا يكون الخبير متضمنًا لمعنى زائد على العلم)[(٣)].ا.هـ

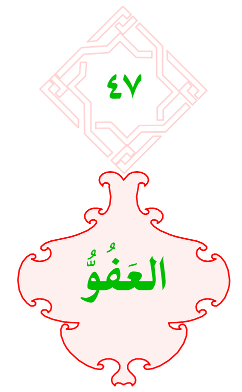
وعندَ مُسلم من حديثِ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه قال لعائشةَ: (فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟ قَالَتْ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ)، تعني نفسها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لأن الخبير هو من يعلم دقائق الأمور وتفاصيلها، والمخلوق له خبرة، والخالق له خبرة، وليست الخبرة كالخبرة، ولو اشتركا في الاسم، فخبرة المخلوق ناقصة، وخبرة الخالق تامة، محيطة بالظواهر والبواطن.



(١) مدارج السالكين (٢/ ١٩١).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٤٥).
(٣) أصول في التفسير (٧/ ٤٠).







٤٧
العَفُوُّ

قال تعالى: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النِّسَاء: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ٩٩﴾ [النِّسَاء].

وقال تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النِّسَاء].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحَجّ].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ [المجَادلة: ٢].

ولما كان اسم «العفو» دالًّا على سعة عفوه عن ذنوب عباده مهما بلغت، ومغفرته لهم وتجاوزه عن سيئاتهم إذا لجأوا إليه، أرشد النبي ﷺ الصدِّيقة بنت الصديق للتضرع به في الأسحار، عند تحرِّي الليلة المباركة، فلما قالت: «يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟»، قَالَ: تَقُولِينَ: «اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

والعفو والعافية لا يمنحهما إلا العفوُّ الغفور، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قام رسول الله على المنبر ثم بكى، فقال: «**اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ**»(١).

وعن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي** - وَقَالَ عُثْمَانُ: **عَوْرَاتِي** - **وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»)(٢).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣] يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ عَفُوًّا عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ وَتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا مَا لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ)(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: (العفو قد يكون عن الذنب بعد وقوعه وقد يكون عن أصل الإيجاب مع انعقاد سبب الوجوب أو التحريم)(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: (العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العدل، ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه)(٥).

---

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٢) أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٣) تفسير الطبري (٧/ ٩٧).
(٤) شرح عمدة الفقه (١/ ١٩٤).
(٥) حادي الأرواح (١/ ٣٧٢).

وقال في نونيته[١]:

وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه غار الأرض بالسكان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («العفو، الغفور، الغفار» الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢])[٢].

وقال الشيخ السعدي أيضًا: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣] أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشقُّ على العبد امتثاله، فيحرج بذلك. ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا، لأتاه بقرابها مغفرة)[٣]ا.هـ.

ومن اتصف بالعفو من عباده زاده الله عزًّا، كما في الحديث: «**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**»[٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

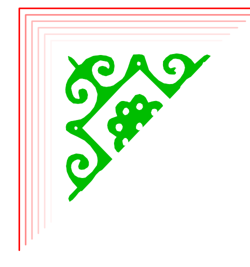
---

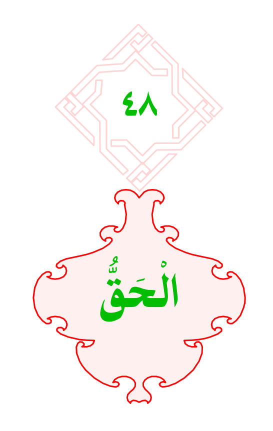
(١) (١/٢٠٧).

(٢) تفسير السعدي (١/٩٤٦).

(٣) تفسير السعدي (١/١٧٩).

(٤) أخرجه مسلم.





قـال تـعـالـى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢].

وفي سورة «يونس» في موضعين: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يُونس].

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يُونس].

وقـال تـعـالـى: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾﴾ [الحَجّ: ٦].

وقـال تـعـالـى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحَجّ].

وقـال تـعـالـى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وقـال تـعـالـى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النُّور: ٢٥].

وعنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «... أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[(١)].

قال ابْنُ جَرِيرٍ رحمه الله: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يُونس: ٣٠]: (وَرَجعَ هَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ إِلَى اللهِ، الذِي هُوَ رَبُّهُم وَمَالِكُهُم الحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ، دُونَ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُم لَهُمْ أَرْبَابٌ مِنَ الآلِهَةِ وَالأَنْدَادِ، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [هُود: ٢١]؛ يَقُولُ: وَبَطَلَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَتَخَرَّصُونَ مِنَ الفِرْيَةِ وَالكَذِبِ عَلَى اللهِ بِدَعْوَاهُم أَوْثَانَهُم أَنَّهَا للهِ شُرَكَاءُ، وَأَنَّهَا تُقَرِّبُهُم مِنْهُ زُلْفَى)[(٢)].

وَقَالَ أيضًا: (﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢﴾ [يُونس: ٣٢]: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِخَلْقِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ فَهَذَا الذِي فَعَلَ هَذِهِ الأَفْعَالَ؛ فَيَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَيَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ، وَيُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَالمَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَيُدَبِّرُ الأَمْرَ: اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يُونس: ٣٢]؛ يَقُولُ: فَأَيُّ شَيءٍ سِوَى الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ وَهُوَ: الجَوْرُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ)[(٣)].

وقال أيضًا: (فَإِذَا كَانَ الحَقُّ هُوَ ذَا، فَادِّعَاؤُكُم غَيْرَهُ إِلَهًا وَرَبًّا هُوَ الضَّلَالُ وَالذَّهَابُ عَنِ الحَقِّ لَا شَكَّ فِيهِ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ١٧٥).
(٣) تفسير الطبري (١٢/ ١٧٧).
(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٧٧).

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]؛ يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ: هَذَا الفِعْلُ الذي فَعَلْتُ مِنْ إِيلَاجِي اللَّيلَ فِي النَّهَارِ، وَإِيلَاجِي النَّهَارَ فِي اللَّيلِ؛ لِأَنِّي أَنَا (الحَقُّ) الذِي لَا مِثْلَ لِي، وَلَا شَرِيكَ، وَلَا نِدَّ، وَأَنَّ الذِي يَدْعُوهُ هَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ الذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى صَنْعَةِ شَيءٍ، بَلْ هُوَ المَصْنُوعُ)[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إِذَا كَانَ حَقُّ الْقَلْبِ أَنْ يَعْلَمَ الْحَقَّ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]. إِذَا كَانَ كُلُّ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ لَمْحَةُ نَاظِرٍ، وَيُحَوَّلُ فِي لَفْتَةِ خَاطِرٍ. فَاللَّهُ رَبُّهُ وَمُنْشِئُهُ وَفَاطِرُهُ وَمُبْدِئُهُ؛ لَا يُحِيطُ عِلْمًا إِلَّا بِمَا هُوَ مِنْ آيَاتِهِ الْبَيِّنَةِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ. وَأَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا لَبِيدٌ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (الحَقُّ الذِي خُلِقَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا، هُوَ حَقٌّ مُقَارِنٌ لِوُجُودِ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ سُطُورًا فِي صَفَحَاتِهِ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُوَفَّقٍ كَاتِبٍ، وَغَيْرِ كَاتِبٍ، كَمَا قِيلَ:

تَأَمَّلْ سُطُورَ الكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا ... مِنَ المَلَأِ الأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ خُطَّ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا ... أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

وَأَمَّا الحَقُّ الذِي هُوَ غَايَةُ خَلْقِهَا فَهُوَ غَايَةٌ تُرَادُ مِنَ العِبَادِ، وَغَايَةٌ تُرَادُ بِهِم، فَالَّتِي تُرَادُ مِنْهُم أَنْ يَعْرِفُوا اللهَ تَعَالَى وَصِفَاتِ كَمَالِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٦٢١).
(٢) الفتاوى (٥/ ٥١).

لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، فَيَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ إِلَهَهُمْ وَمَعْبُودَهُم وَمُطَاعَهُم وَمَحْبُوبَهُم)[١].

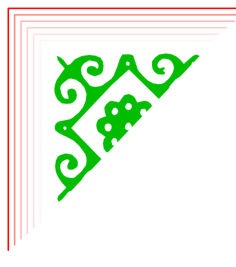
وقال ابن القيم أيضًا: (فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ الحَقُّ فَقَوْلُهُ الحَقُّ وَوَعْدُهُ الحَقُّ، وَأَمْرُهُ الحَقُّ، وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا حَقٌّ، وَجَزَاؤُهُ المُسْتَلْزِمُ لِشَرْعِهِ وَدِينِهِ وَلِلْيَوْمِ الآخِرِ حَقٌّ، فَمَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَمَا وَصَفَ اللهَ بِأَنَّهُ الحَقُّ المُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ، فَكُونُهُ حَقًّا يَسْتَلْزِمُ شَرْعَهُ وَدِينَهُ وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ، فَكَيْفَ يُظَنُّ بِالمَلِكِ الحَقِّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ عَبَثًا، وَأَنْ يَتْرُكَهُمْ سُدًى لَا يَأْمُرُهُم، وَلَا يَنْهَاهُمْ، وَلَا يُثِيبُهُم، وَلَا يُعَاقِبُهُم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القِيَامَة: ٣٦])[٢].

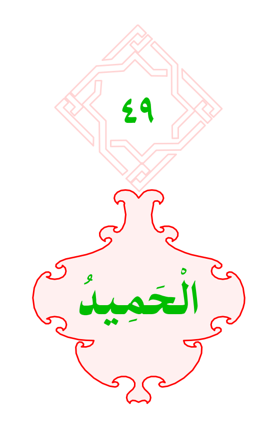
وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْحَقُّ﴾ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَهُوَ وَاجِبُ الوُجُودِ، كَامِلُ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ، وُجُودُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَلَا وُجُودَ لِشَيءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلَّا بِهِ، فَهُوَ الذِي لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ بِالجَلَالِ وَالجَمَالِ وَالكَمَالِ مَوْصُوفًا، وَلَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ بِالإِحْسَانِ مَعْرُوفًا، فَقَوْلُهُ حَقٌّ، وَفِعْلُهُ حَقٌّ، وَلِقَاؤُهُ حَقٌّ، وَرُسُلُهُ حَقٌّ، وَكُتُبُهُ حَقٌّ، وَدِينُهُ هُوَ الحَقُّ، وَعِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الحَقُّ، وَكُلُّ شَيءٍ يُنْسَبُ إِلَيْهِ فَهُوَ حَقٌّ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢] ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء])[٣].

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٤).
(٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٤).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٩٤٩).





قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فَاطِر: ١٥].

وقال تعالَى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧].

وقال تعالَى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هُود: ٧٣].

وقال تعالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجّ: ٢٤].

وقال تعالَى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمَان: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فَاطِر: ١٥].

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فُصّلَت].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشّورىٰ].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٨﴾ [البُرُوج: ٨].

ولما كان هو المستحق للحمد من جميع الوجوه؛ حمد نفسه في آيات كثيرة في كتابه، فقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعَام: ١].

وقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف].

وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٨﴾ [الرُّوم].

إلى غير ذلك من حمده لنفسه تبارك وتقدس.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﵄؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ؛ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ؛ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ؛ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ؛ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.. الحَدِيث»[(١)].

(١) متفق عليه.

قالَ ابْنُ جرير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: (﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿حَمِيدٌ﴾؛ أَنَّهُ مَحْمُودٌ عِنْدَ خَلْقِهِ بِمَا أَوْلاهُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَبَسَطَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)[١].

وَقَالَ أيضًا فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النِّسَاء: ١٣١]: (وَ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ الذِي اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُم أَيُّهَا الخَلْقُ الحَمْدَ بِصَنَائِعِهِ الحَمِيدَةِ إِلَيْكُمْ، وَآلَائِهِ الجَمِيلَةِ لَدَيْكُمْ، فَاسْتَدِيمُوا ذَلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ بِاتِّقَائِهِ، وَالمُسَارَعَةِ إِلَى طَاعَتِهِ فِيمَا يَأْمُرُكُم بِهِ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ)[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النَّمل: ٤٠] وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ [التّغابُن: ١] فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ وَالْغِنَى لَا يَكُونُ مَحْمُودًا بَلْ مَذْمُومًا، إِذ الْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ الْإِخْبَارَ عَنِ الْمَحْمُودِ بِمَحَاسِنِهِ الْمَحْبُوبَةِ، فَيَتَضَمَّنُ إِخْبَارًا بِمَحَاسِنِ الْمَحْبُوبِ مَحَبَّةً لَهُ. وَكَثِيرٌ مِمَّنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْحَمْدِ وَالْمَحَبَّةِ يَكُونُ فِيهِ عَجْزٌ وَضَعْفٌ وَذُلٌّ يُنَافِي الْعَظَمَةَ وَالْغِنَى وَالْمُلْكَ. فَالْأَوَّلُ يُهَابُ وَيُخَافُ وَلَا يُحَبُّ. وَهَذَا يُحَبُّ وَيُحْمَدُ، وَلَا يُهَابُ وَلَا يُخَافُ. وَالْكَمَالُ اجْتِمَاعُ الْوَصْفَيْنِ. كَمَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ: «أنَّ المؤمن رزق حلاوةً ومهابة» وَفِي نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ: «كان من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفة أحبه». فَقَرَنَ التَّسْبِيحَ بِالتَّحْمِيدِ، وَقَرَنَ التَّهْلِيلَ بِالتَّكْبِيرِ؛ كَمَا فِي كَلِمَاتِ الْأَذَانِ. ثُمَّ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّوْعَيْنِ يَتَضَمَّنُ الْآخَرَ إِذَا أُفْرِدَ: فَإِنَّ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ يَتَضَمَّنُ التَّعْظِيمَ، وَيَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْإِلَهِيَّةَ؛ فَإِنَّ الْإِلَهِيَّةَ تَتَضَمَّنُ كَوْنَهُ مَحْبُوبًا؛ بَلْ تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ كَمَالَ الْحُبِّ إِلَّا هُوَ)[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٧١١).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٧٩).
(٣) الفتاوى (٥/ ٢٣٠).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (اسمه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ وهو الذي له الحمد كله، فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شرٌّ ولا سوء ولا نقص، لا في أسمائه ولا في أفعاله ولا في صفاته، فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشرِّ والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء)[١].

وقال ابن القيم أيضًا: (فـ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين، وهكذا المجيد والممجد والكبير والمكبر والعظيم والمعظم والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدًا له حتى تكون مثنيًا عليه محبًّا له، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل كان الحمد والحب أتمَّ وأعظم)[٢].

وقال ابن القيم أيضًا : (وأحسن ما قرن اسم «المجيد» إلى «الحميد»، كما قالت الملائكة لبيت الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هُود: ٧٣] وكما شرع لنا في آخر الصلاة أن نثني على الرب تعالى بأنه حميد مجيد، وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول: ربنا ولك الحمد أهل الثناء والمجد، فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد، فالحميد الحبيب المستحق لجميع صفات الكمال، والمجيد العظيم الواسع القادر الغني ذو الجلال والإكرام)[٣].

---

(١) شفاء العليل (١/ ١٨٠).
(٢) جلاء الأفهام (١/ ٣١٦).
(٣) التبيان في أقسام القرآن (١/ ٩٤).

وقَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: (الحمد كله لله رب العالمين.. فَإِنَّهُ المَحْمُودُ عَلَى مَا خَلَقَهُ وَأَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، فَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى طَاعَاتِ العِبَادِ وَمَعَاصِيهِم وَإِيمَانِهِم وَكُفْرِهِم، وَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى خَلْقِ الأَبْرَارِ وَالفُجَّارِ وَالمَلَائِكَةِ، وَعَلَى خَلْقِ الرُّسُلِ وَأَعْدَائِهِم، وَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى عَدْلِهِ فِي أَعْدَائِهِ كَمَا هُوَ المَحْمُودُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الكَوْنِ شَاهِدَةٌ بِحَمْدِهِ، وَلِهَذَا سَبَّحَ بِحَمْدِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤])[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في النونية[٢]:

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ ... أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الأَزْمَانِ
مَلأَ الوُجُودَ جَمِيعُهُ وَنَظِيرُهُ ... مِنْ غَيْرِمَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ
هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ... كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ

وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (وَهُوَ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أَيْ: المَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ)[٣].

وَقَالَ الشيخ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَلَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ أَحْسَنُهَا، وَمِنَ الصِّفَاتِ أَكْمَلُهَا، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل)[٤].

وقال أيضًا: (وأما ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ فهو من أسماء الله تعالى الجليلة الدالّ على أنه هو المستحق لكل حمد ومحبة وثناء وإكرام، وذلك لما

(١) طريق الهجرتين (١/١١٣).
(٢) (١/٢٠٤).
(٣) تفسير ابن كثير (١/٥٣٨).
(٤) تفسير السعدي (١/٩٤٦).

اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النِّعم الجزال، فهو المحمود على كل حال.

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾!! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر)[١].ا.هـ

ومن ثناء النبي ﷺ على ربه أنه كان يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ: «اللَّهُمَّ ربَّنا لَكَ الحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ الأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[٢].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ؛ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ؛ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ؛ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ...»[٣].

وَكَانَ مَرَّةً يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فَقَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ؟» قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَقَالَ ﷺ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُم يكْتُبُهَا أَوَّلُ»[٤].

وَكَانَ ﷺ يقول: «مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ ـ أَوْ فَاعِلُهُنَّ ـ دُبُرَ كُلِّ

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٠٧).
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه البخاري.

صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاثُونَ تَكْبِيرَةً»[(١)].

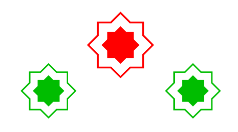
وقال ﷺ: «وَالحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ، سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»[(٢)].

وَقَالَ ﷺ: «أَحبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لله، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَالله أَكْبَرُ، لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأتَ...»[(٣)].

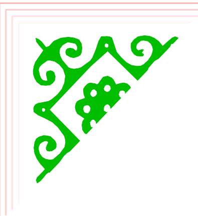
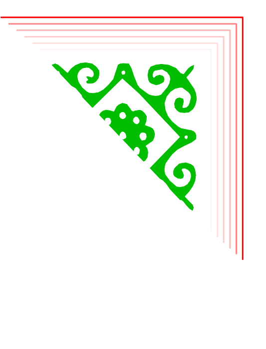
وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: «إِنِّي لَأُحَدِّثُكَ بِالحَدِيثِ اليَوْمَ، لِيَنْفَعَكَ اللهُ عز وجل بِهِ بَعْدَ اليَوْمِ، اعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ الحَمَّادُونَ»[(٤)]. وَهَذَا لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ، فَهُوَ مِمَّا لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ.

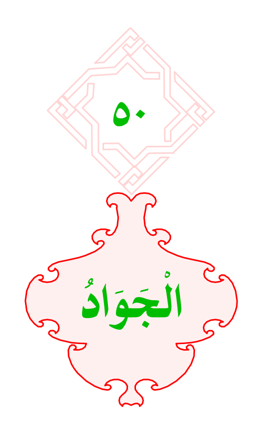
وَقَالَ ﷺ فِي فَضْلِ الحَمْدِ عَلَى النِّعَمِ: «مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الحَمْدُ لله، إلاَّ كَانَ الذِي أُعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»[(٥)].

وَأَخْبَرَ ﷺ؛ أَنَّ حَمْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَسْبَابِ رِضَاهُ عَنِ العَبْدِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ الله لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فيحمده عليها»[(٦)].



(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه أحمد.
(٥) أخرجه الترمذي، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله.
(٦) أخرجه مسلم.



٥٠
الْجَوَادُ

وهذا الاسم جاءت به السُّنة، وفي القرآن من أسماء الله ما يدلُّ عليه، كالكريم والرازق والرزاق والمعطي والمقيت، فهو سبحانه كما أخبر عنه النبي ﷺ : «إنّ اللَّهَ تَعَالَى جَوَادٌ يحِبُّ الجُودَ»[(١)].

واتصف نبيه عليه الصلاة والسلام بالجود، كما قال أنس رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس)[(٢)].

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وَهُوَ سُبْحَانَهُ جَوَادٌ، مَاجِدٌ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، غَنِيٌّ صَمَدٌ، وَالْعِلْمُ بِذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْم بِأَنَّهُ لَا يُعَاقِبُهُ، وَلَا يُعَذِّبُهُ عَلَى مُجَرَّدِ اسْتِمْتَاعِهِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ)[(٣)].

وقال أيضًا : (فهذا هو الذي فطر الله عليه عباده، فإنهم إذا حزبهم أمر احتاجوا فيه إلى توجيه قلوبهم إلى الله توجهوا إلى العلو، وتصوروا

---

(١) أخرجه الترمذي، والبيهقي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله .

(٢) متفق عليه.

(٣) الفتاوى (١/ ٣٧٢).

أن الله جواد كريم يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويرزقهم وينصرهم، فعرفوا منه ما يوافق مطلوبهم ومرادهم ومحبوبهم)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالرب تعالى **جواد** له الجود كله يحب أن يُسأل ويطلب منه ويرغب إليه)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (**جواد** لذاته قد فاض جوده وخيره على العالم كله، وفضل عنه أضعاف ما فاض عليه، فهو يفيضه على تعاقب الآنات أبدًا، وكذلك يفضل في الجنة فضل عن أهلها فينشىء لها خلقًا يسكنهم فضلها، وإنما يتخصص فضله بحسب استعداد العوامل والمعدات وذلك بمشيئته وحكمته، فهو الذي أوجدها وهو الذي أعدَّها، وهو الذي أمدَّها، ولما كان جوده وفضله أوسع من حاجة الخلق لم يكن بدٌّ من بقاء كثير منه مبذولًا في الوجود مهملًا)[(٣)].

وقال ابن القيم أيضًا: (وَالْجُود كُلَّهُ لَهُ، وَأَحَبُّ مَا إِلَيْهِ أَنْ يَجُودَ عَلَى عِبَادِهِ وَيُوسِعَهُمْ فَضْلًا، وَيَغْمُرَهُمْ إِحْسَانًا وَجُودًا، وَيُتِمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ، وَيُضَاعِفَ لَدَيْهِمْ مِنَّتَهُ، وَيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِأَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَيَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ وَآلَائِهِ.

فَهُوَ الْجَوَادُ لِذَاتِهِ، وَجُودُ كُلِّ جَوَادٍ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَيَخْلُقُهُ أَبَدًا، أَقَلُّ مِنْ ذَرَّةٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى جُودِهِ، فَلَيْسَ الْجَوَادُ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَّا هُوَ، وَجُودُ كُلِّ جَوَادٍ فَمِنْ جُودِهِ، وَمَحَبَّتُهُ لِلْجُودِ وَالْإِعْطَاءِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْبِرِّ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ فَوْقَ مَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْخَلْقِ، أَوْ يَدُورُ فِي أَوْهَامِهِمْ، وَفَرَحُهُ بِعَطَائِهِ وَجُودِهِ وَإِفْضَالِهِ أَشَدُّ مِنْ فَرَحِ الْآخِذِ بِمَا يُعْطَاهُ وَيَأْخُذُهُ، أَحْوَجُ مَا

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٨٥).
(٢) حادي الأرواح (١/ ٩١).
(٣) شفاء العليل (١/ ٢٣٣).

هُوَ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مَا كَانَ قَدْرًا، فَإِذَا اجْتَمَعَ شِدَّةُ الْحَاجَةِ وَعِظَمَ قَدْرُ الْعَطِيَّةِ وَالنَّفْعِ بِهَا، فَمَا الظَّنُّ بِفَرَحِ الْمُعْطِي؟ فَفَرَحُ الْمُعْطِي سُبْحَانَهُ بِعَطَائِهِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ فَرَحِ هَذَا بِمَا يَأْخُذُهُ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، إِذْ هَذَا شَأْنُ الْجَوَادِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالِابْتِهَاجِ وَاللَّذَّةِ بِعَطَائِهِ وَجُودِهِ فَوْقَ مَا يَحْصُلُ لِمَنْ يُعْطِيهِ، وَلَكِنَّ الْآخِذَ غَائِبٌ بِلَذَّةِ أَخْذِهِ، عَنْ لَذَّةِ الْمُعْطِي، وَابْتِهَاجِهِ وَسُرُورِهِ، هَذَا مَعَ كَمَالِ حَاجَتِهِ إِلَى مَا يُعْطِيهِ وَفَقْرِهِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ وُثُوقِهِ بِاسْتِخْلَافِ مِثْلِهِ، وَخَوْفِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَهَابِهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِذُلِّ الِاسْتِعَانَةِ بِنَظِيرِهِ وَمَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَفْسُهُ قَدْ طُبِعَتْ عَلَى الْحِرْصِ وَالشُّحِّ.

فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَأَوَّلَ خَلْقِهِ وَآخِرَهُمْ، وَإِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، وَرَطْبَهُمْ وَيَابِسَهُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مَا سَأَلَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

وَهُوَ الْجَوَادُ لِذَاتِهِ، كَمَا أَنَّهُ الْحَيُّ لِذَاتِهِ، الْعَلِيمُ لِذَاتِهِ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لِذَاتِهِ، فَجُودُهُ الْعَالِي مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَالْعَفْوُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الِانْتِقَامِ، وَالرَّحْمَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَالْفَضْلُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية[(٢)]:

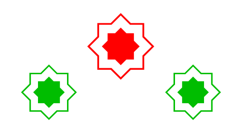
وهو الجواد فجوده عمَّ الوجو	دَ جميعه بالفضل والإحسان
وهو الجواد فلا يخيب سائلًا	ولو أنه من أمة الكفران

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٨).
(٢) (١/ ٢٠٨).

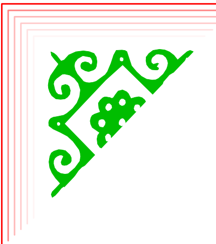
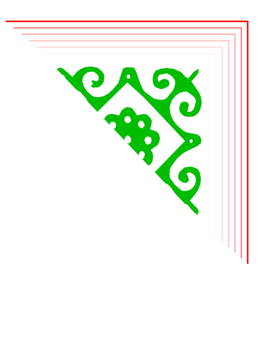
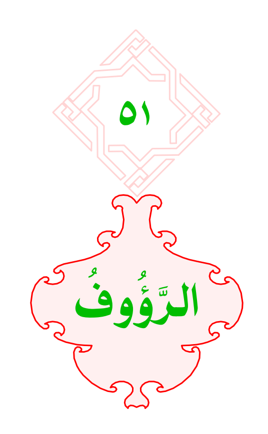
وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («الجواد»: يعني أنه تعالى الجواد المطلق الذي عمَّ بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة، وخصَّ بجوده السائلين بلسان المقال أو لسان الحال من برٍّ، وفاجر، ومسلم، وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤاله، وأناله ما طلب، فإنه البرُّ الرحيم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النّحل: ٥٣].

ومن جوده الواسع ما أعدَّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

وقال أيضًا: (و«الجواد» الذي عمَّ بجوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسَّهم الضر فإليه يرجعون، وبه يتضرعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منَّ الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده، وكرمه، وأعظمها تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة، العلمية والعملية، القولية والفعلية، والمالية، وتحقيقها باتباع محمد ﷺ)(١).



(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٣٠).

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ اللَّهَ بِجَمِيعِ عِبَادِهِ ذُو رَأْفَةٍ. وَالرَّأْفَةُ أَعْلَى مَعَانِي الرَّحْمَةِ، وَهِيَ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَلِبَعْضِهِمْ فِي الْآخِرَةِ. وَأَمَّا الرَّحِيمُ، فَإِنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)(١).

وقيل لابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (كيفَ ترى في هذِه الآيةِ الَّتي أمرنا فيها بما أمرنا ولا يعملُ بها أحدٌ ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إلى ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩] قالَ: إنَّ اللَّهَ حَكيمٌ رؤوفٌ بالمؤمنينَ، يحبُّ السَّترَ، وَكانَ النَّاسُ ليسَ لبيوتِهم ستورٌ ولا حجالٌ، فربَّما دخلَ الخادمُ أوِ الولدُ

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٥٤).

أو يتيمةُ الرَّجلِ، والرَّجلُ علَى أهلِه، فأمرَهمُ اللَّهُ تعالى بالاستئذانِ في تلكَ العوراتِ، فجاءَهمُ اللَّهُ بالسُّتورِ والخيرِ، فلم أرَ أحدًا يعملُ بذلك بعد)[١].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [الحديد].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وسمى نفسه بـ «الرؤوف الرحيم»، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة] وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نَهَى عِبَادَهُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ بِالزُّنَاةِ رَأْفَةٌ فِي دِينِهِ، بِحَيْثُ تَمْنَعُهُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ شَرَعَ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ؛ فَهُوَ أَرْحَمُ بِكُمْ، وَلَمْ تَمْنَعْهُ رَحْمَتُهُ مِنْ أَمْرِهِ بِهَذِهِ الْعُقُوبَةِ، فَلَا يَمْنَعْكُمْ أَنْتُمْ مَا يَقُومُ بِقُلُوبِكُمْ مِنَ الرَّأْفَةِ مِنْ إِقَامَةِ أَمْرِهِ)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (والرب سبحانه هو الرؤوف الرحيم، وأقرب الخلق إليه أعظمهم رأفةً ورحمة، كما أن أبعدهم منه من اتصف بضدِّ صفاته. وهذا باب لا يلجُه إلا أفراد في العالم)[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (بدل حَكيمٌ رؤوفٌ، حَليمٌ رَحيمٌ). وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حسن الإسناد موقوف، وصححه ابن مفلح في الآداب الشرعية بهذا اللفظ (١/ ٤١٧).

(٢) الرسالة التدمرية (١/ ٩).

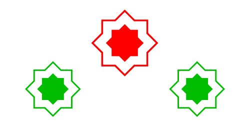
(٣) الجواب الكافي (١/ ١٦٤).

(٤) الروح (٢/ ٧٠٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في النونية**[١]:

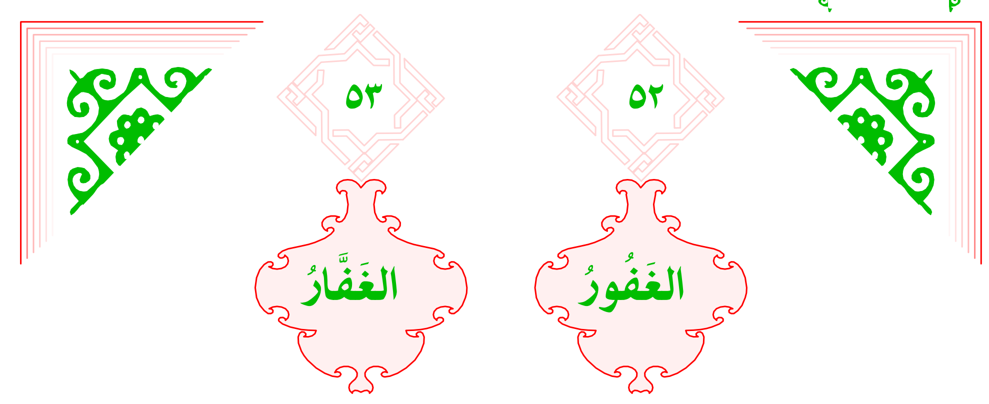
ويقال قد شهد العيان بأنه ذو حكمة وعناية وحنان
مع رأفة ومحبة لعباده أهل الوفاء وتابعي القرآن

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ﴾ أي ذو رأفة؛ و«الرأفة» قال العلماء: هي أرق الرحمة، وألطفها؛ و﴿بِٱلْعِبَادِ﴾ أي جميعهم)[٢].



(١) (٢/٥٥٣).

(٢) أصول في التفسير (٤/٣٦١).



قال الله ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحِجر].

وقال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفَتْح: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعَام: ١٦٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فَاطِر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [صٓ].

وقال ﷻ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نُوح].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (أنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه قال للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ اللهِ، عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: قُلْ: «اَللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ اَلْغَفُورُ الرَّحِيمُ»)[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كان يُعَدُّ لرسولِ اللهِ فِي الْمَجْلِسِ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»(١).

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ فِي ذِمَّتِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «مِنْ ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوارِكَ فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: عَنْ مَرْوَانَ بْنِ جَنَاحٍ»(٢).

وروى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ أنس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ منكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: الْغَفْرُ السَّتْرُ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَغْفِرَةَ وَالْغَفَّارَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى السَّتْرِ، وَتَفْسِيرُ اسْمِ اللَّهِ «الْغَفَّارِ» بِأَنَّهُ السَّتَّارُ، وَهَذَا تَقْصِيرٌ فِي مَعْنَى الْغَفْرِ؛ فَإِنَّ الْمَغْفِرَةَ مَعْنَاهَا وِقَايَةُ شَرِّ الذَّنْبِ بِحَيْثُ لَا يُعَاقَبُ عَلَى الذَّنْبِ، فَمَنْ غُفِرَ ذَنْبُهُ لَمْ يُعَاقَبْ عَلَيْهِ. وَأَمَّا مُجَرَّدُ سِتْرِهِ فَقَدْ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي الْبَاطِنِ، وَمَنْ عُوقِبَ عَلَى الذَّنْبِ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ إِذَا لَمْ يُعَاقَبْ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ الْمُسْتَحَقَّةَ بِالذَّنْبِ.

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في المشكاة.

(٣) أخرجه الترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

وَأَمَّا إِذَا أُبْتُلِيَ مَعَ ذَلِكَ بِمَا يَكُونُ سَبَبًا فِي حَقِّهِ لِزِيَادَةِ أَجْرِهِ فَهَذَا لَا يُنَافِي الْمَغْفِرَةَ)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: (كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ؛ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُك وَأَنَا عَلَى عَهْدِك وَوَعْدِك مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَك بِنِعْمَتِك عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**». فَفِي قَوْلِهِ: «**أَبُوءُ لَك بِنِعْمَتِك عَلَيَّ**». اعْتِرَافٌ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ فِي الْحَسَنَاتِ وَغَيْرِهَا. وَقَوْلُهُ: «**وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**»، اعْتِرَافٌ مِنْهُ بِأَنَّهُ مُذْنِبٌ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا يُصَيِّرُ الْعَبْدَ شَكُورًا لِرَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا لِذَنْبِهِ، فَيَسْتَوْجِبُ مَزِيدَ الْخَيْرِ، وَغُفْرَانَ الشَّرِّ، مِنَ الشَّكُورِ الْغَفُورِ الَّذِي يَشْكُرُ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ وَيَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ)[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: (كَقَوْلِ النَّبِي ﷺ لأبي بكر الصّديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قَالَ لَهُ: «عَلِّمنِي دُعَاء أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتي»، فَقَالَ: «**قل: اللَّهُمَّ إِنِّي ظلمت نَفسِي ظلمًا كثيرًا وَلاَ يغْفر الذُّنُوب إِلاَّ أَنْت، فَاغْفِر لي مغْفرَة من عنْدك وارحمني إِنَّك أَنْت الغفور الرَّحِيم**»[٣].

فَهَذَا فِيهِ وصف العَبْد لحَالِ نَفسه الْمُقْتَضِي حَاجته إِلَى الْمَغْفِرَة، وَفِيه وصف ربه الَّذِي يُوجب أَنه لَا يقدر على هَذَا الْمَطْلُوب غَيره، وَفِيه

(١) الفتاوى (٥/ ٢٧٥).
(٢) الفتاوى (١/ ١٢٢).
(٣) أَخرجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْن.

التَّصْرِيح بسؤال العَبْد لمطلوبه، وَفِيه بَيَان الْمُقْتَضى للإجابة وَهُوَ وصف الرب بالمغفرة وَالرَّحْمَة، فَهَذَا وَنَحْوه أكمل أَنْوَاع الطّلب)[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: «**أَذْنَب عَبْدٌ ذَنْبًا فقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عادَ فَأَذْنَبَ فقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبارَكَ وَتعالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فقَالَ تَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ**».

وَالتَّوْبَةُ تَمْحُو جَمِيعَ السَّيِّئَاتِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَغْفِرُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ إِلَّا التَّوْبَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ «الْغَفَّارُ»، التَّوَّابُ، الْعَفُوُّ ،فَلَا بُدَّ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ مِنْ مُتَعَلَّقَاتٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ جِنَايَةٍ تُغْفَرُ، وَتَوْبَةٍ تُقْبَلُ، وَجرَائِمَ يُعْفَى عَنْهَا، وَلَا بُدَّ لِاسْمِهِ الْحَكِيمِ مِنْ مُتَعَلَّقٍ يَظْهَرُ فِيهِ حُكْمُهُ، إِذِ اقْتِضَاءُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِآثَارِهَا كَاقْتِضَاءِ اسْمِ الْخَالِقِ، الرَّازِقِ، الْمُعْطِي، الْمَانِعِ لِلْمَخْلُوقِ وَالْمَرْزُوقِ وَالْمُعْطَى وَالْمَمْنُوعِ، وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا حُسْنَى)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾... ولما كان

---

(١) دقائق التفسير (٢/ ٣٦٣).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢١١).

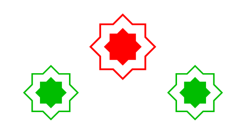
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤١٩).

دفع الشر مقدمًا على جلب الخير قدّم اسم «الغفور» على «الرحيم» حيث وقع، ولما كان في هذا الموضع تعارض يقتضي تقديم اسمه «الرحيم» لأجل ما قبله قدم على «الغفور»)[(١)].

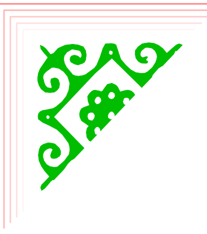
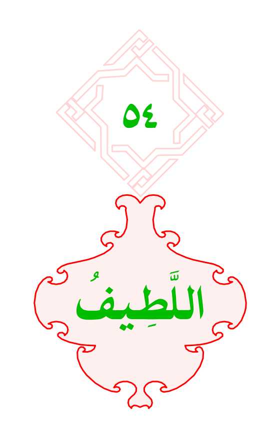
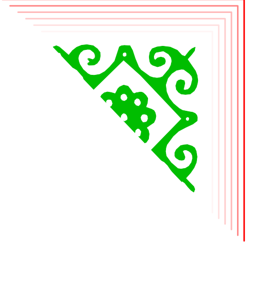
وقال في النونية[(٢)]:

وَهُوَ الغَفُورُ فَلَو أُتِي بِقُرَابِهَا ... مِنْ غَيرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ العِصْيَانِ
لَأَتَاهُ بِالغُفْرَانِ مِلءَ قُرَابِهَا ... سُبحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ

فهو غافر الذنب وقابل التوب، غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى.



(١) بدائع الفوائد (١/ ٨٠).
(٢) (١/ ٢٠٩).

٥٤
اللَّطِيفُ

قال تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك].

وقال تعالى : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى : ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمَان].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يُوسُف : ١٠٠].

وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحَجّ].

وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشّورىٰ].

وعن عائشة ﵂: (ألَا أُحَدِّثُكم عنِّي وعنِ النَّبيِّ ؟ قُلْنا: بلى، قالت: لَمَّا كان ليلتي انقلَب فوضَع نعلَيْهِ عن رِجْلَيْهِ ووضَع رداءَه وبسَط طرَفَ إزارِه على فراشِه، فلَمْ يلبَثْ إلَّا رَيْثما ظنَّ أنِّي قد رقَدْتُ ثمَّ انتعل رُوَيدًا وأخَذ رداءَه رُوَيدًا، ثمَّ فتَح البابَ فخرَج وأجافه رُوَيدًا، فجعَلْتُ دِرعي في رأسي ثمَّ تقنَّعْتُ بإزاري، فانطلَقْتُ في إثرِه حتَّى أتى البقيعَ فرفَع يدَيْهِ ثلاثَ مرَّاتٍ فأطال القيامَ، ثمَّ انحرَف فانحرَفْتُ، فأسرَع فأسرَعْتُ، فهَرْول فهروَلْتُ، فأحضَر فأحضَرْتُ فسبَقْتُه فدخَلْتُ، فليس إلَّا أنِ اضطجَعْتُ دخَل فقال: «**ما لكِ يا عائشةُ**»؟ قُلْتُ: لا شيءَ، قال: «**لَتُخبِرِنِّي أو لَيُخبِرَنِّي اللَّطيفُ الخبيرُ**» قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ بأبي أنتَ وأُمِّي، فأخبَرْتُه الخبَرَ قال: «**أنتِ السَّوادُ الَّذي رأَيْتُ أمامي**»؟ قُلْتُ: نَعم، قالت: فلهَز في صدري لَهْزَةً أوجَعَتْني ثمَّ قال: «**أظنَنْتِ أنْ يحيفَ الله عليكِ ورسولُه؟**» قالت: فقُلْتُ: مهما يكتُمِ النَّاسُ فقد علِمه اللهُ، قال: «**فإنَّ جبريلَ أتاني حين رأيتِ، فناداني فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابك، وظننتُ أن قد رقدتِ، فكرهتُ أن أوقظكِ، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إنَّ ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**» قُلْتُ: كيف أقول لهم يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**قولي: السَّلامُ على أهلِ الدِّيارِ مِن المُؤمِنينَ المُسلِمينَ، ويرحَمُ الله المُستقدِمينَ منَّا والمُستأخِرينَ، وإنَّا إنْ شاء الله بكم لاحقونَ**)[(١)].

قال ابن تيمية ﵀: (اللَّهَ وَفَّقَ الْمُؤْمِنِينَ لِطَاعَتِهِ وَخَذَلَ الْكَافِرِينَ، وَلَطَفَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَصْلَحَهُمْ وَهَدَاهُمْ وَلَمْ يَلْطُفْ بِالْكَافِرِينَ وَلَا أَصْلَحَهُمْ

(١) أخرجه مسلم.

وَلَا هَدَاهُمْ، وَلَوْ أَصْلَحَهُمْ لَكَانُوا صَالِحِينَ وَلَوْ هَدَاهُمْ لَكَانُوا مُهْتَدِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ الْكَافِرِينَ وَيَلْطُفَ بِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونُوا كَافِرِينَ)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (واسمه ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ يتضمن : علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا** : (ثُمَّ خَتَمَ الْحُجَّةَ بِاسْمَيْنِ مُقْتَضِيَيْنِ لِثُبُوتِهَا وَهُمَا : ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ الَّذِي لَطُفَ صُنْعُهُ وَحِكْمَتُهُ وَدَقَّ حَتَّى عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَفْهَامُ، وَ(الْخَبِيرُ) الَّذِي انْتَهَى عِلْمُهُ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِبَوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ وَخَفَايَاهَا كَمَا أَحَاطَ بِظَوَاهِرِهَا، فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ مَا تَحْوِيه الضَمَائِرِ وتخفيه الصدور)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا** : (و«لطيف» يحبُّ اللطيف من عباده، ويبغض الفظَّ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ)[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في النونية**[٥] :

وهو اللطيف بعبده ولعبده	واللطف في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة	واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه	والعبد في الغفلات عن ذا الشان

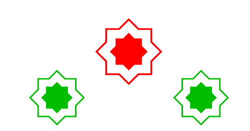
وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن أسمائه الحسنى

(١) الفتاوى (٦/ ٤٣٩).
(٢) شفاء العليل (١/ ٣٤).
(٣) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٩٢).
(٤) الوابل الصيب (١/ ٣٥).
(٥) (١/ ٢٠٨).

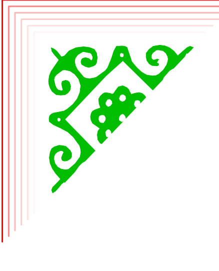
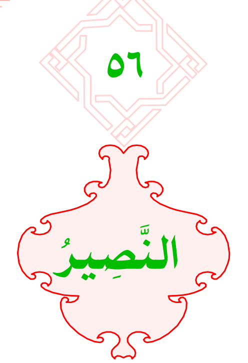
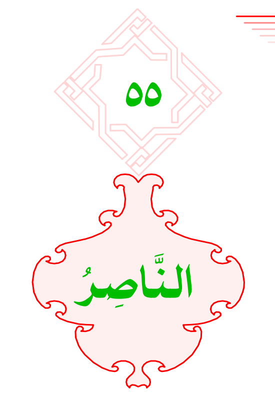
﴿ٱللَّطِيفُ﴾: الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا، والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور)[١].

ومن لطيف القول، أن اسم الله ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ لم يقترن إلا باسمه الخبير، لدلالة هذين الاسمين على علمه سبحانه بالبواطن والخفايا، كما قال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].



(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٧١).

٥٥ النَّاصِرُ

٥٦ النَّصِيرُ

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عِمرَان].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النِّسَاء].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفَال].

وقال النبي ﷺ ـ كما في قصة الحديبية ـ: «**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**»[١].

وقال أبو بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه في صلح الحديبية لما وجد غضاضة في الصلح: (أيُّها الرجلُ، إنه لرسولُ اللهِ ﷺ، وليس يَعْصِي ربَّه، وهو ناصرُه، فاستَمْسِكْ بغرزِه، فواللهِ إنه على الحقِّ)[٢].

وفي سنن أبي داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «**اللهم! أنت عَضُدِي ونَصِيري**».

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ وَلِيُّكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ لَا مَنْ فَرَرْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، فَبِاللَّهِ الَّذِي هُوَ نَاصِرُكُمْ وَمَوْلَاكُمْ فَاعْتَصِمُوا وَإِيَّاهُ فَاسْتَنْصِرُوا دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَبْغِيكُمُ الْغَوَائِلَ وَيَرْصُدُكُمْ بِالْمَكَارِهِ)[١].

وقال في قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ يَقُولُ: وَحَسْبُكُمْ بِاللَّهِ نَاصِرًا لَكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ وَأَعْدَاءِ دِينِكُمْ، وَعَلَى مَنْ بَغَاكُمُ الْغَوَائِلَ، وَبَغَى دِينَكُمُ الْعِوَجَ)[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ : وَهُوَ النَّاصِرُ)[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (وَ﴿نَصِيرًا﴾ : يَقُولُ: نَاصِرًا لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، يَقُولُ: فَلَا يُهَوِّلَنَّكَ أَعْدَاؤُكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنِّي نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ، فَاصْبِرْ لِأَمْرِي، وَامْضِ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِي إِلَيْهِمْ)[٤].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (أخبر سبحانه عن حال الإنسان في يوم القيامة أنه غير ممتنع من عذاب الله، لا بقوةٍ منه ولا بقوة من خارج، وهو الناصر فإن العبد إذا وقع في شدة فإما أن يدفعها بقوته أو قوة من ينصره، وكلاهما معدوم في حقه، ونظيره قوله سبحانه: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣])[٥].

(١) تفسير الطبري (٦/١٢٦).
(٢) تفسير الطبري (٧/١٠١).
(٣) تفسير الطبري (١١/١٨٣).
(٤) تفسير الطبري (١٧/٤٤٥).
(٥) التبيان في أقسام القرآن (١/١٠٦).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٠] . . . ـ إلى أن قال: ـ وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [المُلك].

فجمع سبحانه بين النصر والرزق، فإن العبد مضطر إلى من يدفع عنه عدوَّه بنصره، ويجلب له منافعه برزقه، فلا بد له من ناصر ورازق. والله وحده هو الذي ينصر ويرزق، فهو الرزاق ذو القوة المتين)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (والله سبحانه قد بيَّن في كتابه أنه ناصر المؤمنين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر])[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته**[(٣)]:

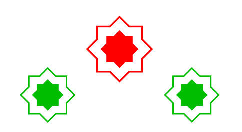
والله لولا الله ناصر دينه ... وكتابه بالحق والبرهان
لتخطفت أعداؤنا أرواحنا ... ولقطعت منا عرى الإيمان

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحَجّ: ٧٨] يَعْنِي: [نِعْمَ] الْوَلِيُّ وَنِعْمَ النَّاصِرُ مِنَ الْأَعْدَاءِ)[(٤)].

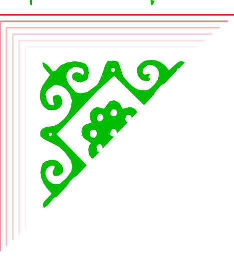
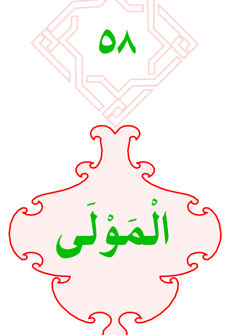
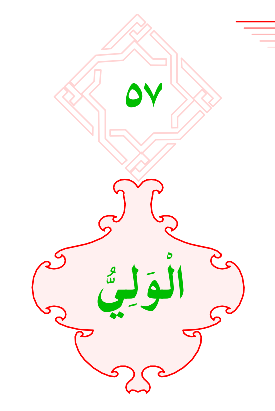
(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٤).
(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٣).
(٣) (١/ ٦٧).
(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٧٥).

وسئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (ما حكم التعبيد بأسماء لم يثبت كونها من أسماء الله الحسنى، مثل: (عبد الستار)، (عبد المغني)، (عبد الهادي)، (عبد المنعم) ونحوها ؟ وهل يلزم تغييرها؟

فأجاب : (الصحيح أن ما دلّ من الأسماء بإطلاق على الله تعالى : جاز التعبيد به، كالمذكورة، ولا يلزم تغييره، ومثلها : عبد الناصر)[1].



(١) ثمرات التدوين من مسائل ابن عثيمين مسألة رقم (٢) (٦/١).

٥٧ ٥٨

الْوَلِيُّ الْمَوْلَى

قال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحجّ].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمَّد].

وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا**»[(١)].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]: (يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ أَنْتَ وَلِيُّنَا بِنَصْرِكَ دُونَ مَنْ عَادَاكَ وَكَفَرَ بِكَ، لَأَنَّا مُؤْمِنُونَ بِكَ وَمُطِيعُوكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا، فَأَنْتَ وَفِيُّ مَنْ أَطَاعَكَ، وَعَدُوُّ مَنْ كَفَرَ بِكَ

(١) أخرجه مسلم.

فَعَصَاكَ، فَانْصُرْنَا لَأَنَّا حِزْبُكَ، عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَكَ، وَعَبَدُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ دُونَكَ، وَأَطَاعُوا فِي مَعْصِيَتِكَ الشَّيْطَانَ، وَ(الْمَوْلَى) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَفْعَلُ مِنْ وَلِيَ فُلَانٌ أَمْرَ فُلَانٍ فَهُوَ يَلِيهِ وِلَايَةً، وَهُوَ وَلِيُّهُ وَمَوْلَاه)[(١)].

وقال أيضًا في تفسير قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧]: (نَصِيرُهُمْ وَظَهِيرُهُمْ، يَتَوَلَّاهُمْ بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ)[(٢)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التَّحرِيم: ٤]. فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّ كُلَّ صَالِحٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ مَوْلَاهُ، وَجِبْرِيلُ مَوْلَاهُ، وَلَيْسَ فِي كَوْنِ الصَّالِحِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُ، وَجِبْرِيلَ مَوْلَاهُ، أَنْ يَكُونَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ مُتَوَلِّيًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحَجّ: ٧٨] وَمَعْلُومٌ كَمَالُ تَوَلِّي اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ وَنَصْرُهُ إِيَّاهُمْ أَتَمَّ نُصْرَةٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُم اعْتَصِمُوا بِهِ أَتَمَّ اعْتِصَامٍ، فَهُمْ مَهْدِيُّونَ بِشَهَادَةِ الرَّبِّ لَهُمْ بِلَا شَكٍّ)[(٤)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (وهو ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ فمن تولّاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولّاه وحفظه وحرسه وصانه)[(٥)].

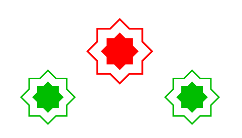
---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٦٥).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٦٣).
(٣) منهاج السنة (٧/ ٢٧).
(٤) إعلام الموقعين (٤/ ١٠٣).
(٥) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: حافظكم وناصركم ومظفركم على أعدائكم، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ يعني: [نعم] الولي ونعم الناصر من الأعداء. قال وهيب بن الورد: يقول الله تعالى: ابن آدم، اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت فاصبر، وارض بنصرتي، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك. رواه ابن أبي حاتم)(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾، يَعْنِي نِعْمَ الْوَلِيُّ وَنِعْمَ النَّاصِرُ مِنَ الْأَعْدَاءِ)(٢).

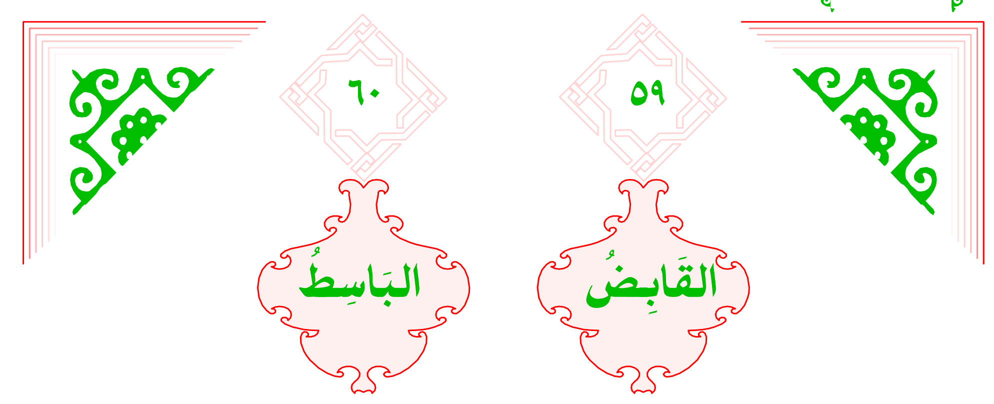
وعَنِ اَلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ اَلْوِتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لاَ يَزِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**». وَزَادَ اَلطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ: «**وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»)(٣).



(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه أهل السنن، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.



قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزُّمَر].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ الْمُسَعِّرُ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيس أَحَدٌ مِنكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ بِدَمٍ وَلاَ مَالٍ»[(١)].

وعن أبي مُوسى رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنَ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرضِ، فَجَاء بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ والخَبِيثُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ»[(٢)].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٣) أخرجه مسلم.

وقال ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟»[(١)].

قَالَ ابنُ جَرِير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥]: (يَعْنِي تَعالَى ذِكْرُه بذلك: أَنَّه الذي بِيَدِهِ قَبْضُ أَرْزَاقِ العِبَادِ وبِسْطُها دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنِ ادَّعَى أَهْلُ الشِّرْكِ بِهِ أَنَّهم آلِهَةٌ، واتَّخذُوه ربًّا دُونَهُ يَعْبُدُونَهُ، وذَلِكَ نَظِيرُ الخَبَرِ الذِي رُوي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)[(٢)].

وقَالَ أيضًا: (يَعْنِي بذَلِكَ ﷺ: أَنَّ الغَلَاءَ والرُّخْصَ والسِّعَةَ والضِّيقَ بِيَدِ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥] يَعْنِي بقَوْلِهِ ﴿يَقۡبِضُ﴾: يُقَتِّرُ بِقَبْضِهِ الرِّزْقَ عَمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، ويَعْنِي بقَولِهِ ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾: يُوَسِّعُ بِبَسْطِهِ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنهم، وإنَّمَا أَرَادَ تَعَالَى ذِكْرُه بقوْلِهِ ذلك حَثَّ عِبَادِهِ المُؤْمِنينَ الذِينَ قَدْ بَسَطَ عَلَيهم مِنْ فَضْلِهِ فَوَسَّعَ عَلَيهم مِنْ رِزْقِهِ، عَلَى تَقْوِيَةِ ذَوي الإقْتَارِ مِنْهم بِمَالِهِ، ومَعُونَتِه بالإنْفَاقِ عَلَيهِ، وحَمُولَتِهِ عَلَى النُّهُوضِ لِقِتَالِ عَدُوِّهِ مِنَ المُشْرِكِينَ ـ فِي سَبِيلِهِ ـ فَقَالَ تَعالَى ذِكْرُه: مَنْ يُقَدِّمُ لِنَفْسِهِ ذُخرًا عِنْدِي بإعْطَائِهِ ضُعَفَاءَ المُؤْمنينَ، وأَهْلَ الحَاجَةِ مِنْهم مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى القِتَال فِي سبيلي؛ فأضَاعِفَ لَهُ مِنْ ثَوَابِي أَضْعَافًا كَثيرَةً مِمَّا أَعْطَاهُ وقَوَّاهُ بِهِ، فَإنِّي أنا المُوَسِّعُ الذِي قَبَضْتُ الرِّزْقَ عَمَّنْ نَدَبْتُكَ إلَى مَعُونَتِهِ وإعْطَائِهِ، لأَبْتَلِيَهُ بالصَّبْرِ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ بِهِ، والذِي بَسَطْتُ عليكَ لِأَمْتَحِنَكَ بعَمَلِكَ فِيمَا بَسَطْتُ عَلَيكَ

(١) متفق عليه.
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٣٢).

فَأَنْظُرَ كَيفَ طَاعَتُكَ إياي فِيهِ؟ فأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُما عَلَى قَدْرِ طَاعَتِكما لِي فِيمَا ابتَلَيْتُكُمَا فِيهِ، وامْتَحَنتُكُمَا فِيهِ، مِنْ غِنًى وَفاقةٍ، وسَعَةٍ وضِيقٍ، عِنْدَ رُجُوعِكُما إِلَيَّ فِي آخِرَتِكُما، ومَصِيرِكُمَا إِلَيَّ فِي مَعَادِكُمَا)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (شُهُودُ انْفِرَادِ الْحَقِّ بِمِلْكِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِتَصْرِيفِ التَّفْرِقَةِ وَالْجَمْعِ. هَذِهِ الدَّرَجَةُ تَتَعَلَّقُ بِشُهُودِ وَصْفِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَشَأْنِهِ. وَالَّتِي قَبْلَهَا تَتَعَلَّقُ بِشُهُودِ حَالِ الْعَبْدِ وَوَصْفِهِ. أَيْ يَشْهَدُ حَرَكَاتِ الْعَالَمِ وَسُكُونَهُ صَادِرَةً عَنِ الْحَقِّ تَعَالَى فِي كُلِّ مُتَحَرِّكٍ وَسَاكِنٍ، فَيَشْهَدُ تَعَلُّقَ الْحَرَكَةِ بِاسْمِهِ الْبَاسِطِ وَتَعَلُّقَ السُّكُونِ بِاسْمِهِ الْقَابِضِ فَيَشْهَدُ تَفَرُّدَهُ سُبْحَانَهُ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (لَا يَمْنَعكَ عَنِ الِانْبِسَاطِ إِلَيْهِ خَوْفٌ. فَإِنَّ مَقَامَ الْخَوْفِ لَا يُجَامِعُ مَقَامَ الِانْبِسَاطِ. وَالْخَوْفُ مِنْ أَحْكَامِ اسْمِ الْقَابِضِ، وَالِانْبِسَاطُ مِنْ أَحْكَامِ اسْمِ الْبَاسِطِ)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (وَقَدْ يَهْجُمُ عَلَى قَلْبِ السَّالِكِ قَبْضٌ لَا يَدْرِي مَا سَبَبُهُ، وَبَسْطٌ لَا يَدْرِي مَا سَبَبُهُ. وَحُكْمُ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْضِ أَمْرَانِ:

الْأَوَّلُ: التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْقَبْضَ نَتِيجَةُ جِنَايَةٍ، أَوْ جَفْوَةٍ، وَلَا يَشْعُرُ بِهَا.

وَالثَّانِي: الِاسْتِسْلَامُ حَتَّى يَمْضِيَ عَنْهُ ذَلِكَ الْوَقْتُ، وَلَا يَتَكَلَّفُ

---

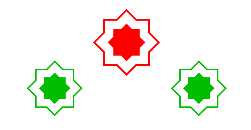
(١) تفسير الطبري (٤/ ٤٣٣).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٤١).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٩).

دَفْعَهُ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ وَقْتَهُ مُغَالَبَةً وَقَهْرًا، وَلَا يَطْلُبُ طُلُوعَ الْفَجْرِ فِي وَسَطِ اللَّيْلِ، وَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَمْضِيَ عَامَّةُ اللَّيْلِ، وَيَحِينَ طُلُوعُ الْفَجْرِ وَانْقِشَاعُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. بَلْ يَصْبِر حَتَّى يَهْجُمَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ، فَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ)[(١)].

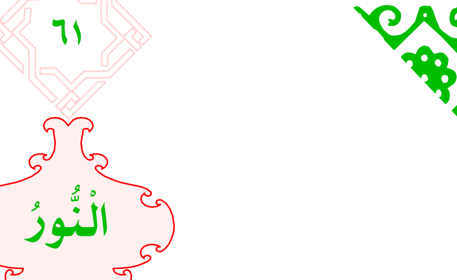
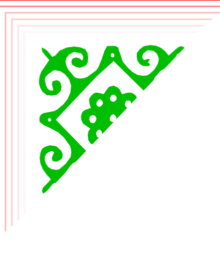
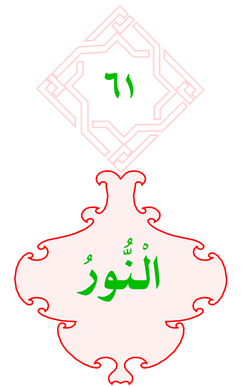
وقَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ **في النونية**[(٢)]:

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ ... هُــوَ رَافِـعٌ بـالـعَـدْلِ والـمِـيـزَانِ

وقال الشّيخ السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»: (يقبض الأرزاق والأرواح، ويبسط الأرزاق والقلوب، وذلك تبع لحكمته ورحمته)ا.هـ.



(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٥).
(٢) (١/ ٢١١).

٦١

النُّورُ

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ [النُّور].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»)[(١)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ ـ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ ـ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[(١)].

وقال ابن خزيمة ﵀: (فـ «النور» وإن كان اسمًا لله، فقد يقع اسم النور على بعض المخلوقين، فليس معنى النور الذي هو اسم لله في المعنى مثل النور الذي هو خلق الله، وربنا جل وعلا الهادي، وقد سمى بعض خلقه هاديًا، فقال ﷻ لنبيِّه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرّعد: ٧] فسمى نبيَّه هاديًا وإن كان الهادي اسمًا لله ﷻ)[(٢)].

وقال ابن تيمية ﵀: (فَقَوله فِي أَسْمَائِهِ الْحسنى «النُّور الْهَادِي» لَو نازعه مُنَازع فِي ثُبُوت ذَلِك عَن النَّبِي ﷺ لم تكن لَهُ حجَّة، وَلَكِن جَاءَ ذَلِك فِي أَحَادِيث صِحَاح، مثل قَوْله فِي الحَدِيث الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ عَن ابْن عَبَّاس عَن النَّبِي ﷺ أَنه كَانَ يَقُول: «**اللَّهُمَّ لَك الْحَمد أَنْت نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمن فِيهِنَّ**»... الحَدِيث، وَفِي صَحِيح مُسلم عَن أبي ذَر قَالَ: سَأَلت رَسُول الله ﷺ: هَل رَأَيْت رَبك؟ فَقَالَ: «**نور أنى أَرَاهُ**»، أَو قَالَ: «**رَأَيْتُ نورًا**». فَالَّذِي فِي الْقُرْآن والْحَدِيث الصَّحِيح إِضَافَة النُّور بقوله: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النُّور: ٣٥] أَو «**نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمن فِيهِنَّ**»)[(٣)].

(١) أخرجه مسلم.
(٢) التوحيد (١/ ٥٦).
(٣) دقائق التفسير (٢/ ٤٧٥).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (النَّص فِي كتاب الله وَسنة رَسُوله قد سمى الله ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وَقد أخبر النَّص أَن الله نور وَأخبر أَيْضًا أَنه يحتجب بِالنورِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَة أنوار فِي النَّص وَقد تقدم ذكر الأول.

وَأما الثَّانِي قَوْله: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: ٦٩] وَفِي قَوْله ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النُّور: ٣٥] وَفِيمَا رَوَاهُ مُسلم فِي صَحِيحه عَن عبد الله بن عمر قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِن الله خلق خلقه فِي ظلمَة وَألقى عَلَيْهِم من نوره فَمن أَصَابَهُ من ذَلِك النُّور اهْتَدَى وَمن أخطأه ضل**»)[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَمَّى نَفْسَهُ نُورًا، وَجَعَلَ كِتَابَهُ نُورًا، وَرَسُولَهُ ﷺ نُورًا، وَدِينَهُ نُورًا، وَاحْتَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ بِالنُّورِ، وَجَعَلَ دَارَ أَوْلِيَائِهِ نُورًا تَتَلَأْلَأُ)[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (ولما كان «النور» من أسمائه الحسنى وصفاته كان دينه نورًا ورسوله نورًا وكلامه نورًا وداره نورًا يتلألأ والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجري على ألسنتهم ويظهر على وجوههم)[3].

وقال أيضًا في «النونية»[4]:

والنور من أسمائه أيضًا ومن	أوصافه سبحان ذي البرهان
قال ابن مسعود كلامًا قد حكا	هُ الدارمي عنه بلا نكران
ما عنده ليل يكون ولا نها	رٌ قلت: تحت الفلك يوجد ذان

---

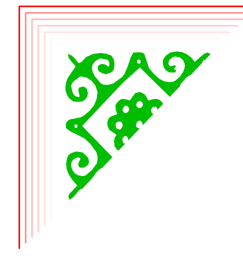
(١) دقائق التفسير (٢/ ٤٧٧).
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٤٤).
(٣) شفاء العليل (١/ ١٠٥).
(٤) (١/ ٢١٢).

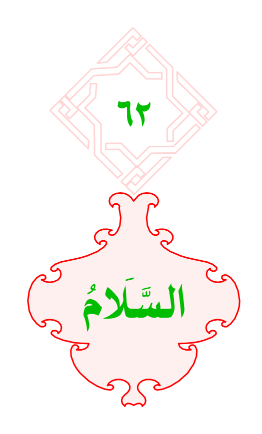
نور السمٰوات العلى من نوره والأرض كيف النجوم والقمران
من نور وجه الرب جل جلاله وكذا حكاه الحافظ الطبراني
فبه استنار العرش والكرسيُّ مع سبع الطباق وسائر الأكوان
وكتابه نور كذلك شرعه نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الإيمان في قلب الفتى نور على نورٍ مع القرآن
وحجابه نور فلو كشف الحجا بُ لأحرق السبحات للأكوان
وإذا أتى للفصل يشرق نوره في الأرض يوم قيامة الأبدان
وكذاك دار الرب جنات العلى نور تلألأ ليس ذا بطلان
والنور ذو نوعين مخلوق ووصـ ـفٌ ما هما والله متحدان
وكذلك المخلوق ذو نوعين محـ ـسوس ومعقول هما شيئان
احذر تزلّ فتحت رجلك هوة كم قد هوى فيها على الأزمان
من عابد بالجهل زلَّت رجله فهوى إلى قعر الحضيض الداني

وقال **الشيخ السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا** : (نوره المعنوي وهو النور الذي نوّر قلوب أنبيائه وأصفيائه وأوليائه وملائكته، من أنوار معرفته وأنوار محبته، فإنَّ لمعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا بحسب ما عرفوه من نعوت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله، فكلُّ وصف من أوصافه له تأثير في قلوبهم، فإنَّ معرفة المولى أعظم المعارف كلِّها، والعلم به أجلُّ العلوم، والعلم النافع كلُّه أنوار في القلوب، فكيف بهذا العلم الذي هو أفضل العلوم وأجلّها وأصلها وأساسها.

فكيف إذا انضم إلى هذا نور محبته والإنابة إليه، فهنالك تمتلئ أقطار القلب وجهاتُه من الأنوار المتنوعة وفنونِ اللذات المتشابهة في الحسن والنعيم)[١].

(١) فتح الرحيم الملك العلام (١/ ٦٣).







قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سَلَّمَ لَمْ يَقْعُدْ إِلَّا مِقْدَارَ مَا يَقُولُ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «السلامُ اسمٌ من أسماءِ الله وضَعهُ اللَّهُ في الأرضِ، فأفْشُوهُ بينَكمْ، فإنَّ الرجلَ المسلمَ إذا مَرَّ بقوم فسلَّمَ عليهم، فردُّوا عليه؛ كان لهُ عليهم فضلُ درجةٍ بتذكيرِهِ إيَّاهُمُ السلامَ، فإنْ لم يرُدُّوا عليه رَدَّ عليه مَنْ هوَ خيرٌ مِنهمْ وأطْيبُ»(٢).

وقال النبي ﷺ: «خلَقَ اللَّهُ آدمَ على صورتِه، طولُه ستُّون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهَبْ فسلِّم على أولئك النفرِ مِن الملائكة، جلوسٌ، فاستمِعْ ما يُحيُّونَك؛ فإنها تحيَّتُك وتحيَّةُ ذرِّيتِك، فقال: السلام عليكم،

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» والبزار، والطبراني، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

فقالوا: السلامُ عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]: اللَّهُ هُوَ السَّلَامُ، وَالدَّارُ: الْجَنَّةُ)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمَّا كَانَ «السَّلَامُ» اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُوَ اسْمُ مَصْدَرٍ فِي الْأَصْلِ ـ كَالْكَلَامِ وَالْعَطَاءِ ـ بِمَعْنَى السَّلَامَةِ، كَانَ الرَّبُّ تَعَالَى أَحَقَّ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَيْبٍ وَنَقْصٍ وَذَمٍّ، فَإِنَّ لَهُ الْكَمَالَ الْمُطْلَقَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَكَمَالُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ، وَالسَّلَامُ يَتَضَمَّنُ سَلَامَةَ أَفْعَالِهِ مِنَ الْعَبَثِ وَالظُّلْمِ وَخِلَافِ الْحِكْمَةِ، وَسَلَامَةَ صِفَاتِهِ مِنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَسَلَامَةَ ذَاتِهِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَسَلَامَةَ أَسْمَائِهِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ، فَاسْمُ (السَّلَامِ) يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ لَهُ وَسَلْبَ جَمِيعِ النَّقَائِصِ عَنْهُ)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (وَالْمَقْصُودُ أَنَّ «السَّلَامَ» اسْمُهُ وَوَصْفُهُ وَفِعْلُهُ، وَالتَّلَفُّظُ بِهِ ذِكْرٌ لَهُ كَمَا فِي «السُّنَنِ»: «أَنَّ رَجُلًا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَيَمَّمَ وَرَدَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ**» فَحَقِيقٌ بِتَحِيَّةٍ هَذَا شَأْنُهَا أَنْ تُصَانَ عَنْ بَذْلِهَا لِغَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَلَّا يُحَيَّا بِهَا أَعْدَاءُ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ.

وَلِهَذَا كَانَتْ كُتُبُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ «**سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**» وَلَمْ يَكْتُبْ لِكَافِرٍ: «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**» أَصْلًا، فَلِهَذَا قَالَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ: «**وَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ**»)[٤].

---

(١) متفق عليه.
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٥٥٤).
(٣) أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٤).
(٤) أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٠).

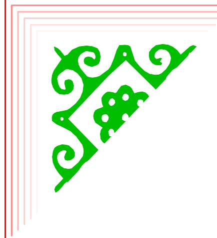
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا في معنى اسم الله ﴿ٱلسَّلَـٰمُ﴾: (إذا نظرتَ إلى أفراد صفات كماله، وجدتَ كلَّ صفةٍ سلامًا مما يضادُّ كمالَها: فحياته سلامٌ من الموت ومِن السِّنَة والنوم. وكذلك قيوميَّتُه وقدرتُه سلامٌ مِن التعب واللُّغوب. وعلمه سلامٌ مِن عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان، أو حاجة إلى تذكُّر وتفكُّر. وإرادته سلامٌ مِن خروجها عن الحكمة والمصلحة. وكلماتُه سلامٌ مِن الكذب والظلم؛ بل تَمَّت كلماتُه صدقًا وعدلًا. وغِناهُ سلامٌ مِن الحاجة إلى غيرِه بوجهٍ ما. وحِلمُه وعفوُه وصفحُه ومغفرتُه وتجاوزُه: سلامٌ من أن تكونَ عن حاجةٍ منه، أو ذلّ، أو مصانعة كما يكون من غيره؛ بل هو محضُ جُودِه وإحسانه وكرمه.

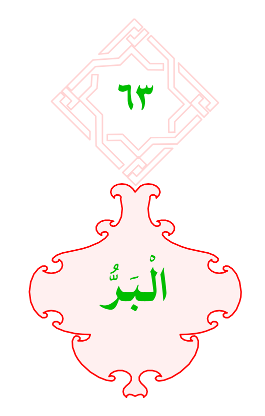
وكذلك عذابه وانتقامه، وشدة بطشه، وسرعة عقابه: سلامٌ مِن أن يكون ظلمًا أو تشفيًا، أو غِلظة، أو قسوة؛ بل هو محضُ حكمته وعدله، ووضعه الأشياءَ مواضعَها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء، كما يستحقُّه على إحسانه وثوابه ونعمه؛ بل لو وضع الثوابَ موضع العقوبة، لكان مناقضًا لحكمته ولعزَّته، فوَضْعُه العقوبةَ موضعها هو من عدله وحكمته وعزته. وقضاؤه وقَدَره سلام من العبث والجَور والظلم. وشرعه ودينه سلامٌ من التناقض والاختلاف والاضطراب؛ بل شرعُه كلُّه حكمةٌ، ورحمة، ومصلحة وعدل. وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة، أو لحاجة إلى المعطَى. ومنعُه سلامٌ من البخل وخوف الإملاق)[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه، فإنه سلامٌ عما يتخيله مُشبِّه، أو يتقوَّله مُعطِّل، فتأمل كيف تضمن اسمه «السلام» كل ما نزه عنه تبارك وتعالى، وكم ممن حفظ هذا الاسم لا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني)[(٢)].

---

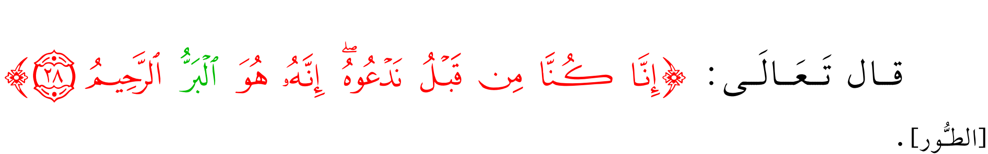
(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٣٦).
(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٣٧).





٦٣

الْبَرُّ



قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطُّور].

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ [الطُّور: ٢٨] قَالَ: اللَّطِيفُ)(١).

وعَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: (﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمران: ٩٢] يَقُولُ: لَنْ تَنَالُوا بِرَّ رَبِّكُمْ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يُعْجِبُكُمْ وَمِمَّا تهْوُون مِنْ أَمْوَالِكُمْ)(٢).

وقَالَ **ابنُ جَرِيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عِمرَان] يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: لَنْ تُدْرِكُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْبِرَّ، وَهُوَ الْبِرُّ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَعِبَادَتِهِمْ لَهُ، وَيَرْجُونَهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ تَفَضُّلُهُ عَلَيْهِمْ بِإِدْخَالِهِمِ جَنَّتَهُ، وَصَرْفِ عَذَابِهِ عَنْهُمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: الْبِرُّ الْجَنَّةُ؛ لِأَنَّ بِرَّ الرَّبِّ بِعَبْدِهِ فِي الْآخِرَةِ وَإِكْرَامَهُ إِيَّاهُ بِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ)(٣).

---

(١) (١٠/ ٣٣١٧).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٥٧٢).

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا مَرَّتْ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطُّور] فَقَالَتْ: «اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْنَا، وَقِنَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ»، فَقِيلَ لِلْأَعْمَشِ: فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «فِي الصَّلَاةِ»[(١)].

والله يحب أهل البرِّ ويوجب لهم به الجنة كما في قَوْلِه ﷺ: «**إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا**»[(٢)].

ويجيب دعوتهم ويلطف بهم في حال شدَّتهم وكربهم واضطرارهم إليه، كما في قوله ﷺ: «**إنَّ مِنْ عِبادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ**»[(٣)].

وقوله ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**»[(٤)].

وقال ابن القيم ﵀: (أَنْ يَعْرِف بِرَّهُ سُبْحَانَهُ فِي سَتْرِهِ عَلَيْهِ حَالَ ارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ، مَعَ كَمَالِ رُؤْيَتِهِ لَهُ، وَلَوْ شَاءَ لَفَضَحَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فَحَذِرُوهُ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ بِرِّهِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ: «الْبَرُّ»، وَهَذَا الْبِرُّ مِنْ سَيِّدِهِ كَانَ عَنْ كَمَالِ غِنَاهُ عَنْهُ، وَكَمَال فَقرِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ، فَيَشْتَغِلُ بِمُطَالَعَةِ هَذِهِ الْمِنَّةِ، وَمُشَاهَدَةِ هَذَا الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ، فَيَذْهَلُ عَنْ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ، فَيَبْقَى مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِجِنَايَتِهِ، وَشُهُودِ ذُلِّ

---

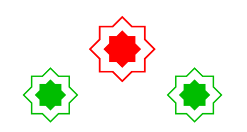
(١) أخرجه ابن أبي شيبة.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه مسلم.

مَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِاللَّهِ وَالْغَفْلَةَ عَمَّا سِوَاهُ هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى، وَالْمَقْصِدُ الْأَسْنَى)(١).

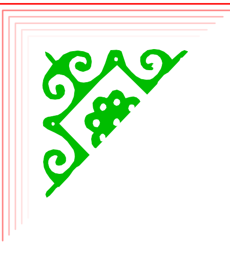
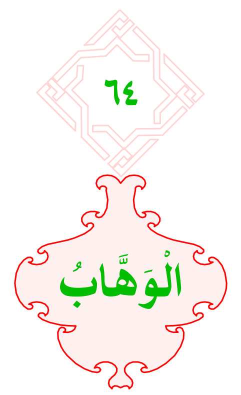
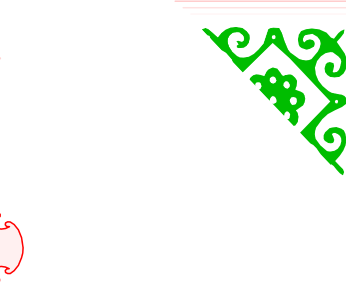
وقَالَ ابنُ القَيِّمِ في النونية(٢):

والبر في أوصافه سبحانه ... هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البرِّ الذي هو وصفه ... فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو برٌّ محسن ... مولى الجميل ودائم الإحسان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] فمن برِّه بنا ورحمته إيانا، أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار)(٣).



(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٣).
(٢) (١/ ٢١٠).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٨١٥).

٦٤

الْوَهَّابُ

قال الله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ [ص].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [ص].

وعن جبير بن نفير قَالَ: (جَلَسْنَا إِلَى الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ يَوْمًا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهِ! لَوَدِدْنَا أَنَّا رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْتَ، فَاسْتُغْضِبَ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ، مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا يَحْمِلُ الرَّجُلَ عَلَى أَنْ يَتَمَنَّى مُحْضَرًا غَيَّبَهُ اللَّهُ عَنْهُ؟ لَا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ يَكُونُ فِيهِ؟ وَاللَّهِ! لَقَدْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْوَامٌ كَبَّهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ؛ لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ! أَوَلَا تَحْمَدُونَ اللَّهَ ﷻ إِذْ أَخْرَجَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبَّكُمْ، فَتُصَدِّقُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، قَدْ كُفِيتُمُ الْبَلَاءَ بِغَيْرِكُمْ. وَاللَّهِ لَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا نَبِيٌّ قَطُّ، فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ! فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ أَوْ وَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِرًا، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ قُفْلَ قَلْبِهِ بِالْإِيمَانِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ، فَلَا تَقَرُّ عَيْنُهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ، وَأَنَّهَا لِلَّتِي قَالَ

اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤][(١)].

قال ابن جرير رحمه الله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَهَّابُ لِعِبَادِهِ الْإِنَابَةَ إِلَى طَاعَتِهِ، الْمُوَفِّقُ مَنْ أَحَبَّ تَوْفِيقَهُ مِنْهُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ)[(٢)].

وقال أيضًا: (هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ تَوْفِيقًا وَثَبَاتًا لِلَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، مِنَ الْإِقْرَارِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ وَمُتَشَابِهِهِ؛ ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] يَعْنِي: إِنَّكَ أَنْتَ الْمُعْطِي عِبَادَكَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ لِلثَّبَاتِ عَلَى دِينِكَ وَتَصْدِيقِ كِتَابِكَ وَرُسُلِكَ)[(٣)].

وقال أيضًا: (وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] يَقُولُ: إِنَّكَ وَهَّابُ مَا تَشَاءُ لِمَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ تَفْتَحُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَرَدْتَ لِمَنْ أَرَدْتَ)[(٤)].

وقال ابن كثير رحمه الله: (﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝٩﴾ [ص: ٩] أي: الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُرَامُ جَنَابُهُ، الْوَهَّابِ الَّذِي يُعْطِي مَا يُرِيدُ لِمَنْ يُرِيدُ)[(٥)].

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته[(٦)]:

وكذلك الوهاب من أسمائه ... فانظر مواهبه مدى الأزمان
أهل السموات العلى والأرض عن ... تلك المواهب ليس ينفكان

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٥٤).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ٢٢٨).
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٩٤).
(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٥).
(٦) (١/ ٢١٠).

ولم يأت اسم الله «الوهاب» ولا صفته (يهب) إلا في الخير والنعم الدينية والدنيوية، كما قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [صٓ].

والزوجة هبة؛ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ﴾ [الأنبياء] هبة منه سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [صٓ].

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم].

وقوله سبحانه: ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء].

وقوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

ومن جوامع الدعاء قول الله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقوله عز وجل: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات].

ومن سفه المشركين أنهم كانوا يستوهبون الولد والخير والبركة من

أصنامهم، كما يفعل مشركة زماننا، الذين يطلبون الغوث والمدد والشفاء والولد والنصر على الأعداء من البدوي، أو الجيلاني، أو الحسن، أو الحسين، أو الست زينب، أو العيدروس وهلم جرًّا من معبوداتهم الشركية، فما أشبه صنيع هؤلاء بعمل مشركي الزمان الأول.

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: (خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ، وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيْسٌ وَأُمُّنَا، فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ، فَجَاءَ خَالُنَا فَنَثَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ، وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ، فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا، فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا، وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ، فَنَافَرَ أُنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا، فَأَتَيَا الْكَاهِنَ، فَخَيَّرَ أُنَيْسًا، فَأَتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا.

قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ، يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهُ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي، أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خفاء[١] حَتَّى تَعْلُوَنِي الشَّمْسُ.

فَقَالَ أُنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي، فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَرَاثَ عَلَيَّ، ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ.

(١) الخفاء: هو الكساء، وجمعه أخفية ككساء وأكسية.

قَالَ أُنَيْسٌ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي، أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

قَالَ : قُلْتُ : فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقُلْتُ : أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ : الصَّابِئَ، فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظْمٍ، حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، قَالَ : فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ، كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ، قَالَ : فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَلَقَدْ لَبِثْتُ، يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانٍ، إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمِخَتِهِمْ، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ، وَامْرَأَتَانِ مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا، وَنَائِلَةَ، ـ وفي رواية الطبراني: (فجعلت امرأتان تدعوان ليلة آلهتهما وتقول إحداهما : يا إساف هب لي غلامًا، وتقول الأخرى: يا نائل هب لي كذا وكذا) ـ، قَالَ : فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا فَقُلْتُ : أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الأُخْرَى، قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ قَوْلِهِمَا، قَالَ : فَأَتَتَا عَلَيَّ فَقُلْتُ : هَنٌ مِثْلُ الْخَشَبَةِ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلَانِ، وَتَقُولَانِ : لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا، قَالَ : فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا هَابِطَانِ، قَالَ : مَا لَكُمَا؟ قَالَتَا : الصَّابِئُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا، قَالَ: مَا قَالَ لَكُمَا؟ قَالَتَا : إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلأُ الْفَمَ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ، قَالَ : فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ : «**وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ**»، ثُمَّ قَالَ : «**مَنْ أَنْتَ؟**» قَالَ: قُلْتُ : مِنْ

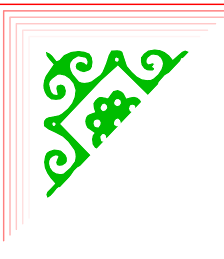
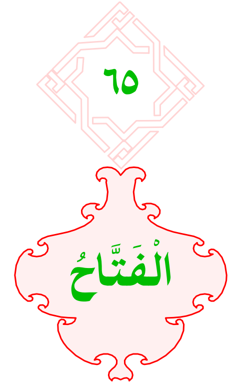
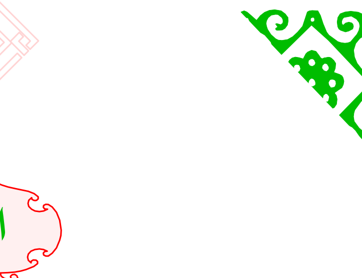
غِفَارٍ، قَالَ : فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ، فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**مَتى كُنْتَ هاهُنا ؟**» قَالَ: قُلْتُ : قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ : «**فَمَنْ كانَ يُطْعِمُكَ ؟**» قَالَ: قُلْتُ : مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ، قَالَ : «**إِنَّها مُبارَكَةٌ، إِنَّها طَعامُ طُعْمٍ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ : «**إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذاتُ نَخْلٍ، لا أُراها إِلاَّ يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ**»، فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ : مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ : مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ.

وَقَالَ نِصْفُهُمْ : إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي، وَجَاءَتْ أَسْلَمُ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، إِخْوَتُنَا، نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**غِفارُ غَفَرَ اللَّهُ لَها، وَأَسْلَمُ سالَمَها اللَّهُ**»[١].

---

(١) أخرجه مسلم.

٦٥

الْفَتَّاحُ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبإ]

وقال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وروى البخاري ومسلم من حديث سَهْل بْن سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ، يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(١).

---

(١) متفق عليه.

وعن أَبي عِنَبَةَ: قَالَ سُرَيْجٌ ـ وَلَهُ صُحْبَةٌ ـ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ» قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ ﷻ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»[(١)].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيُقَالُ لِلْقَاضِي: الْفَتَّاحُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] أَي: احْكُمْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ. فَإِذَا كَانَ مَعْنَى الْفَتْحِ مَا وَصفْنَا، تَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦] إِنَّمَا هُوَ: أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ وَقَضَاهُ فِيكُمْ)[(٢)].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا في تفسير الآية: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] يَقُولُ: (احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِحُكْمِكَ الْحَقِّ الَّذِي لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا حَيْفَ وَلَا ظُلْمَ، وَلَكِنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] يَعْنِي: خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)[(٣)].

وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦] يَقُولُ: (وَاللَّهُ الْقَاضِي الْعَلِيمُ بِالْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَنْهُ خَافِيَةٌ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شُهُودٍ تُعَرِّفُهُ الْمُحِقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ)[(٤)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾؛ أي: خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبدًا)[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٥٠).
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٣١٩).
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٧).
(٥) (٦/ ٣٦٠).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في النونية**[١]:

وَكَذلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائه والفَتْحُ في أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إِلَهِنَا والفَتْحُ بالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثانِ
والربُّ فَتَّاحٌ بذَيْنِ كِلَيْهِمَا عَدْلًا وإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (يفتح لعباده منافع الدنيا والدِّين، فيفتح لمن اختَصَّهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويُدر عليها مِن المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، ما يُصلح أحوالها، وتستقيم به على الصراط المستقيم، ويفتح لعباده أبواب الرزق وطرق الأسباب، ويهيئ للمتقين مِن الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويُعطي المتوكِّلين فوق ما يَطلبون ويؤمِّلون، ويُيسِّر لهم الأمور العسيرة، ويفتح لهم الأبواب المغلقة)[٢].

وقد فتح الله لنبيِّه ﷺ ولأمته كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ [الفَتْح].

وقال البَرَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ)[٣].

وامتنَّ الله على نبيِّه بالنصر والفتح وجعله دليلًا لأَجله؛ فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النّصر].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: ﴿إِذَا

---

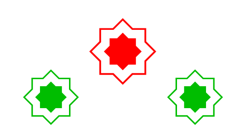
(١) (١/ ٢٤٥).
(٢) فتح الرحيم الملك العلام (ص ٤٢).
(٣) أخرجه البخاري.

جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»)[١].

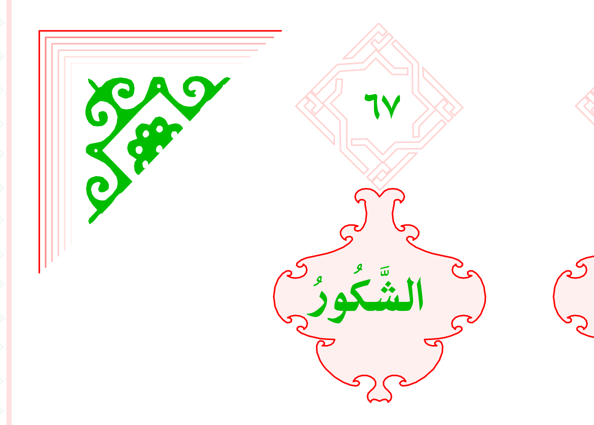
وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو في حبسه بالإسكندرية: (فَإِنِّي ـ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ـ فِي نِعَمٍ مِنَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا فِي عُمْرِي كُلِّهِ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ أَبْوَابِ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ وَخَزَائِنِ جُودِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْبَالِ؛ وَلَا يَدُورُ فِي الْخَيَالِ، مَا يَصِلُ الطَّرْفُ إِلَيْهَا، يَسَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى صَارَتْ مَقَاعِدَ وَهَذَا يَعْرِفُ بَعْضَهَا بِالذَّوْقِ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَا هُوَ مَطْلُوبُ الْأَوَّلِينَ والآخرين مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ)[٢].

ومن أدعية النبي ﷺ عند دخول المسجد: «**فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**»[٣].

ويطلب العبد فتح الله عليه في صباحه ومسائه، فمن أدعية الصباح والمساء قوله ﷺ: «**أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده، ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك**»[٤].



(١) أخرجه البخاري.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٠).
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه أبو داود، وحسن إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في «زاد المعاد».



قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧].

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّكُورُ الْغَفُور» الَّذِي يَشْكُرُ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ وَيَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ»[(٢)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) الفتاوى (١/ ١٢٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أَيْ: مَنْ شَكَرَ شَكَرَ لَهُ، وَمَنْ آمَنَ قَلْبُهُ بِهِ عَلِمَهُ وَجَازَاهُ على ذلك أوفر الجزاء)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأما تسميته سبحانه بـ «الشكور» فهو في حديث أبي هريرة، وفي القرآن تسميته ﴿شَاكِرًا﴾، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٧]. وتسميته أيضًا ﴿شَكُورٍ﴾: قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التّغَابُن: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسَان: ٢٢] فجمع لهم سبحانه بين الأمرين أن شكر سعيهم وأثابهم عليه، والله تعالى يشكر عبده إذا أحسن طاعته ويغفر له إذا تاب إليه، فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته إنه غفور شكور).

إلى أن قال: (وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور؛ بل هو الشكور على الحقيقة؛ فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا ردَّه عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفَّقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (وَسَمَّى نَفْسَهُ «شَاكِرًا» وَ«شَكُورًا» وَسَمَّى الشَّاكِرِينَ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمْ مِنْ وَصْفِهِ، وَسَمَّاهُمْ بِاسْمِهِ، وَحَسْبُكَ بِهَذَا مَحَبَّةً لِلشَّاكِرِينَ وَفَضْلًا.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٢).
(٢) عدة الصابرين (١/ ٢٨٠).

وَإِعَادَتُهُ لِلشَّاكِرِ مَشْكُورًا. كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢٢])[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا في نونيته[(٢)]:

وهذا الذي جعل المحبة في	قلوبهم وجازاهم بحب ثان
هو هو الإحسان حقًّا لا	معاوضة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم وشكورهم	لا لاحتياج منه للشكران
وهو الشكور فلن يضيع سعيهم	لكن يضاعفه بلا حسبان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من أسمائه تعالى «الشاكر الشكور»: وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عدٍّ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين به إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوها لله تعالى)[(٣)].

والله يحب الشاكرين، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟**»[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٣٣).

(٢) (ص٢٠٨).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٥٧).

(٤) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

والله يحب أن يُشكر عند تجدد النعم.

فعن أَبِي بَكْرَةَ ﵁ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ: (كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ خَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ)[١].

ولما كتب علي ﵁ إلى النبي ﷺ بإسلام همدان خرَّ ساجدًا؛ فعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: بَعَثَ النبي ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْفِلَ خَالِدًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلٌ مِمَنْ كَانَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَ عَلِيٍّ ﵁ فَلْيُعَقِّبْ مَعَهُ. قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقَّبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا فَصَلَّى بِنَا عَلِيٌّ ﵁ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا، فَكَتَبَ عَلِيٌّ ﵁ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ**»[٢].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﵁ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ، فَدَخَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَجَلَسْتُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ. قَالَ: «**مَا شَأْنُك؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَجَدْتَ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ قَدْ قَبَضَ نَفْسَكَ فِيهَا، فَقَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ ﵇ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ ﷻ شُكْرًا**»[٣].

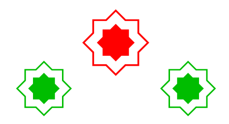
---

(١) رَوَاهُ اَلْخَمْسَةُ إِلاَّ النَّسَائِيَّ، وحسنه الإمام الألباني ﵀.
(٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ صَدْرَ هَذَا الْحَدِيثِ، وأخرجه البيهقي.
(٣) أخرجه أحمد، وقال الإمام الألباني ﵀ في فضل الصلاة على النبي: (إسناده صحيح لغيره).

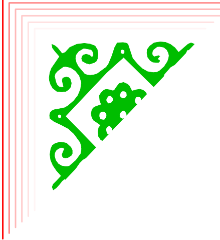
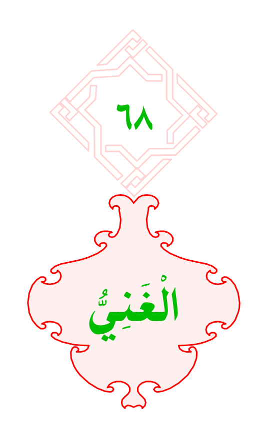
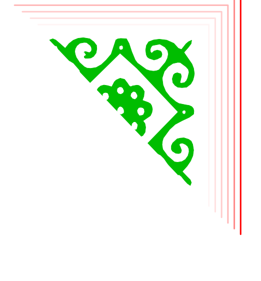
وروى البخاري ومسلم أن كعب بن مالك رضي الله عنه ـ وهو أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا ـ سجد لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه[(١)].

ومع أن شكر الله موجب لزيادة نعمه كما في قوله : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، لكنه قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

ولذلك لما امتحن الله ثلاثةً ممن كان قبلنا بالنعم شكر الله أحدُهم، وجحد اثنان نعمة الله عليهما، وخبرهم في الصحيحين.



(١) متفق عليه.

٦٨
الْغَنِيُّ

قال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يُونس: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فَاطِر].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧] يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: وَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَاتِكُمْ وَعَنْ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمْ بِهَا، وَفَرَضَهَا فِي أَمْوَالِكُمْ، رَحْمَةً مِنْهُ لَكُمْ لِيُغْنِيَ بِهَا عَائِلَكُمْ، وَيُقَوِّيَ بِهَا ضَعِيفَكُمْ، وَيُجْزِلَ لَكُمْ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ مَثُوبَتَكُمْ، لَا مِنْ حَاجَةٍ بِهِ فِيهَا إِلَيْكُمْ)[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ غَنِيٌّ يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ، يَرْزُقُ عِبَادَهُ)[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٧١١).
(٢) الفتاوى (٥/ ١٢٢).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأما كون الرب تعالى مفتقرًا إلى شيء مباين له غني عنه، فهذا ممتنع، فإنه سبحانه الغنيُّ عن كل شيء، فإذا قدر أن بعض لوازمه توقف على ما هو مباين له لم يكن وجوده ثابتًا إلا بوجود ذلك المباين، وكان الله مفتقرًا إليه، والله غني عن كل شيء)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْغِنَى وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لِلرَّبِّ، وَالْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ وَالضَّرُورَة وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لِلْعَبْدِ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ:

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي)[(٢)]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في نونيته**[(٣)]:

وهو الغني بذاته فغناه ذا ... تيٌّ له كالجود والإحسان

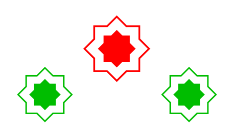
وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣] يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ أَيْ: عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَهُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ)[(٤)].

والغني سبحانه يطلب منه الغنى، فروى الترمذي في «سننه» من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**»[(٥)].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٣٤).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٣٩).
(٣) (١/ ٢٠٥).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٢).
(٥) أخرجه الترمذي وأحمد، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

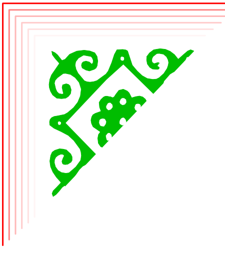
وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**مَن يستَعفِفْ يعفَّه الله، ومَن يَستَغنِ يُغنِه الله**»[(١)].

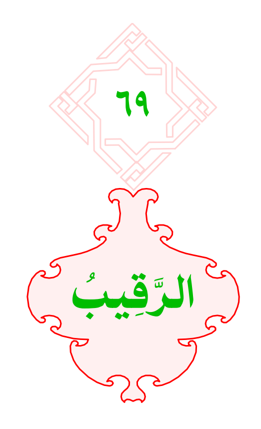
وروى مسلمٌ في «صحيحه» من حديث ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهُدَى والتُّقَى، والعَفاف والغِنَى**»[(٢)].



(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.





قال الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّساء: ١].

وقال سبحانه : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: خطَب رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «يا أيُّها الناسُ، إنكم مَحشورونَ إلى الله حُفاةً عُراةً غُرلاً»، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. إلى آخرِ الآيةِ، ثم قال: «ألا وإنَّ أولَ الخلائقِ يُكسى يومَ القيامةِ إبراهيمُ، ألا وإنه يُجاءُ برجالٍ من أُمَّتي فيؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ، فأقولُ: يا ربِّ أُصَيحابي، فيُقالُ: إنك لا تَدري ما أحدَثوا بعدَك، فأقولُ كما قال العبدُ الصالحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. فيُقالُ: إنَّ هؤلاءِ لم يَزالوا مُرتَدِّينَ على أعقابِهم منذُ فارَقتَهم»[١].

قال ابن جرير رحمه الله في قوله : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

[الأحزاب: ٥٢] يقُولُ: وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ: مَا أَحَلَّ لَكَ، وَحَرَّمَ عَلَيْكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، حَفِيظًا لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُ ذَلِكَ كُلِّهِ)[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الله هُوَ الرَّقِيب المطلع عَلَيْهِم المحصي أَعْمَالهم الْمجَازِي عَلَيْهَا، والمسيح لَيْسَ برقيب فَلَا يطلع على أَعْمَالهم وَلَا يحصيها وَلَا يجازيهم بهَا)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْمُرَاقَبَةُ هِيَ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ «الرَّقِيبِ»، الْحَفِيظِ، الْعَلِيمِ، السَّمِيعِ، الْبَصِيرِ، فَمَنْ عَقَلَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، وَتَعَبَّدَ بِمُقْتَضَاهَا: حَصَلَتْ لَهُ الْمُرَاقَبَةُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (الْمُرَاقَبَةُ تَعْرِيفُهَا: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ. فَاسْتِدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ. وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وَكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ)[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في نونيته**[٥]:

وهو الرقيب على الخواطر واللوا ... حظ كيف بالأفعال بالأركان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾

---

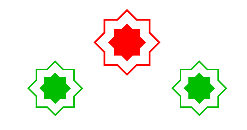
(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٥٧).
(٢) دقائق التفسير (٢/ ٩٨).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٦٦).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٦٥).
(٥) (١/ ٢٠٧).

[الأحزَاب: ٥٢] أي: مراقبًا للأمور، وعالمًا بما إليه تؤول، وقائمًا بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام)[١].

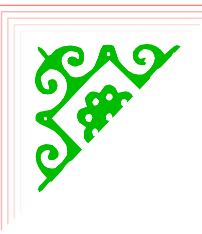
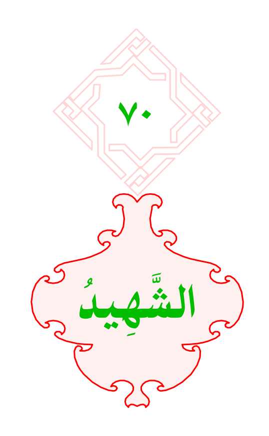
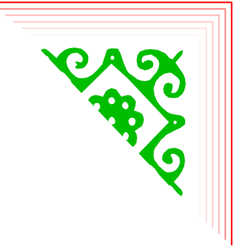
وقال **أيضًا** رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلرَّقِيبَ﴾ المطلع على ما أكنَّته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير)[٢].

وما أجمل ما قيل:

إذا ما خلوْتَ، الدَّهرَ يوْمًا، فلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ ولكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
ولَا تحْسَبَنَّ اللَّهَ يغفِلُ ساعةً ... وَلا أنَّ مَا يخفَى عَلَيْهِ يغيب
لهَوْنَا، لَعَمرُ اللّهِ، حتى تَتابَعَتْ ... ذُنوبٌ على آثارهِنَّ ذُنُوبُ
فَيا لَيتَ أنّ اللّهَ يَغفِرُ ما مضَى ... ويأْذَنُ فِي تَوْباتِنَا فنتُوبُ
إذَا ما مضَى القَرْنُ الذِي كُنتَ فيهم ... وخُلّفْتَ في قَرْنٍ فَأنْتَ غَريبُ
وإنَّ امرءًا قَدْ سارَ خمسِينَ حِجَّةٍ ... إلى مَنْهلٍ مِنْ وردِهِ لقَريبُ
نَسِيبُكَ مَنْ ناجاكَ بِالوُدِّ قَلبُهُ ... ولَيسَ لمَنْ تَحتَ التُّرابِ نَسيبُ
فأحْسِنْ جَزاءً ما اجْتَهَدتَ فإنّما ... بقرضِكَ تُجْزَى والقُرُوضُ ضُروبُ



(١) تفسير السعدي (١/ ٦٧٠).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٤٧).

٧٠
الشَّهِيدُ

قال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عِمرَان].

وقال تعالى : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المَائدة].

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرّعد].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحجّ].

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجَادلة].

فالله شهيد على خلقه، مطلع على سرائرهم وضمائرهم، شاهد عليهم بما عملوا، لا يعزب عنه شيء من أحوالهم.

والنبي ﷺ شهيد على أمته، مبلغ عن ربه رسالته كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء] قَالَ: «**أَمْسِكْ**» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[(١)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ)[(٢)].

وأمته شاهدة على الأمم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ**»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قَالَ: عَدْلًا، ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»[(٣)].

قال ابنُ جرير رحمه الله: (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه البخاري.

مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ مِنْ قَوْمِكَ: أَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ شَهَادَةً وَأَكْبَرُ، ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ بِأَنَّ أَكْبَرَ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَتِهِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَةِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ السَّهْوِ وَالْخَطَأِ وَالْغَلَطِ وَالْكَذِبِ، ثُمَّ قُلْ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةً شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، بِالْمُحِقِّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ وَالرَّشِيدِ مِنَّا فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ مِنَ السَّفِيهِ، وَقَدْ رَضِينَا بِهِ حَكَمًا بَيْنَنَا)[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّهُ حَيٌّ قَيُّومٌ شَهِيدٌ، لَا يَمُوتُ وَلَا يَغِيبُ)[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] فشهادته أكبر الشهادات)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ «الشَّهِيدَ» الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؛ بَلْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُشَاهِدٌ لَهُ، عَلِيمٌ بِتَفَاصِيلِهِ)[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، المراد بالآية شهادته سبحانه لرسوله بتصديقه على رسالته، فإن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: من يشهد لك على ما تقول؟ فأنزل الله تعالى آيات شهادته له وشهادة ملائكته وشهادة علماءِ أهل الكتاب له، فقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٨١).
(٢) الفتاوى (٥/ ١٢٢).
(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (١/ ٦).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣).

وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرّعد: ٤٣]، أي: ومن عنده علم الكتاب يشهد لي وشهادته مقبولة لأنها شهادة بعلم، قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النّساء]، وقال تعالى ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، فأخبر سبحانه في هذه المواضع بشهادته لرسوله، وكفى بشهادته إثباتًا لصدقه وكفى به شهيدًا)[(١)].

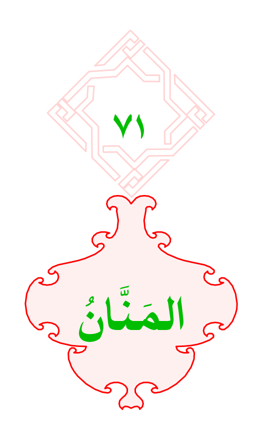
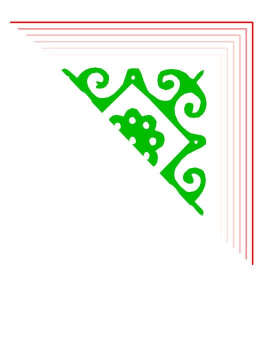
وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((الرقيب والشهيد) من أسمائه الحسنى وهما مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، والرقيب المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النّساء: ١] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبُّد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كلِّ قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه)[(٢)].

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٣٣٨).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٥٥).

٧١
المَنَّانُ

«المنان» من أسماء الله الحسنى الثابتة في السُّنة، وقد ورد هذا الاسم في سنن أبي داود، من حديث أنس ﵁، أنه كان مع رسول الله ﷺ رجل يصلي، ثم دعا، فقال هذا الرجل: «اللَّهمَّ إني أَسأَلُك بِأنَّ لَكَ الحمدَ، لا إلهَ إلا أنْتَ، المَنَّانُ، بَديعُ السَّمواتِ والأرضِ، ذو الجَلالِ والإِكْرَامِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ»، فقال رسولُ الله لأصحَابِهِ: «**أتَدرون بِمَ دَعَا؟**» قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: «**والذي نفسي بيده، لَقَدْ دَعا الله باسمه الأعظم، الذي إذَا دُعِيَ به أَجابَ، وإذَا سُئِلَ بِهِ أعطَى**»[(١)].

قال ابن تيمية ﵀: (اسْمُ «الْمَنَّانِ» فَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ دَاعِيًا يَدْعُو: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك بِأَنَّ لَك الْمُلْكَ أَنْتَ اللَّهُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام، يَا حَيُّ يَا قَيُّوم، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**». وَهَذَا رَدٌّ لِقَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ فِي أَسْمَائِهِ الْمَنَّانُ)[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الإمام الألباني ﵀.

(٢) الفتاوى (٢/ ٣٨١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (وأما منة الخالق على المخلوق فهي تمام النعمة ولذتها وطيبها، فإنها منة حقيقة، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ [الصافات] فتكون منة عليهما بنعمة الدنيا دون نعمة الآخرة، وقال لموسى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [طه: ٣٧] وقال أهل الجنة: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٧] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية، وقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآية. وفي الصحيح أن النبي قال للأنصار: «**ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، ألم أجدكم عالة فأغناكم الله بي**»، فجعلوا يقولون له: «الله ورسوله أمن». فهذا جواب العارفين بالله ورسوله، وهل المنة كل المنة إلا لله المانِّ بفضله الذي جميع الخلق في منته؟! وإنما قبحت منة المخلوق لأنها منة بما ليس منه وهي منة يتأذى بها الممنون عليه، وأما منة المنان بفضله التي ما طاب العيش إلا بمنته، وكل نعمة منه في الدنيا والآخرة فهي منة يمنُّ بها على من أنعم عليه فتلك لا يجوز نفيها)[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ مَثَلَ حَالِ الصِّدِّيقِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ دَخَلَا دَارًا، فَرَأَى أَحَدُهُمَا تَفَاصِيلَ مَا فِيهَا وَجُزْئِيَّاتِهِ، وَالْآخَرُ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى مَا فِي الدَّارِ وَلَمْ يَرَ تَفَاصِيلَهُ وَلَا جُزْئِيَّاتِهِ، لَكِنْ عَلِمَ أَنَّ فِيهَا أُمُورًا عَظِيمَةً، لَمْ يُدْرِكْ بَصَرُهُ تَفَاصِيلَهَا، ثُمَّ خَرَجَا، فَسَأَلَهُ عَمَّا رَأَى

(١) التبيان في بيان القرآن (١/ ٥٠).

فِي الدَّارِ؟ فَجَعَلَ كُلَّمَا أَخْبَرَهُ بِشَيْءٍ صَدَّقَهُ، لِمَا عِنْدَهُ مِنْ شَوَاهِدِهِ، وَهَذِهِ أَعْلَى دَرَجَاتِ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَلَا تَسْتَبْعِدْ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ الْمَنَّانُ عَلَى عَبْدٍ بِمِثْلِ هَذَا الْإِيمَانِ، فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ وَلَا حُسْبَانٍ)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (أَهْل سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ فِي مِنَّتِهِ، وَأَنَّ مِنْ تَمَام الْفَرَح وَالسُّرُورِ، وَالْغِبْطَةِ وَاللَّذَّةِ، اغْتِبَاطُهُمْ بِمِنَّةِ سَيِّدِهِمْ وَمَوْلَاهُمُ الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا طَابَ لَهُمْ عَيْشُهُمْ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ، وَأَعْظَمُهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ أَعْرَفُهُمْ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ، وَأَعْظَمُهُمْ إِقْرَارًا بِهَا، وَذِكْرًا لَهَا، وَشُكْرًا عَلَيْهَا، وَمَحَبَّةً لَهُ لِأَجْلِهَا، فَهَلْ يَتَقَلَّبُ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا فِي مِنَّتِهِ؟ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحُجُرَات: ١٧])[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في نونيته**[٣]:

وكذلك التواب من أوصافه ... والتوب في أوصافه نوعان

إذن بتوبة عبده وقبولها ... بعد المتاب بمنة المنان

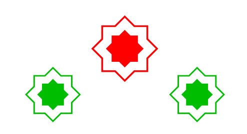
ولله منن عظيمة على عباده؛ فبعثة النبي ﷺ منة عظيمة، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان].

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [الصَّافات].

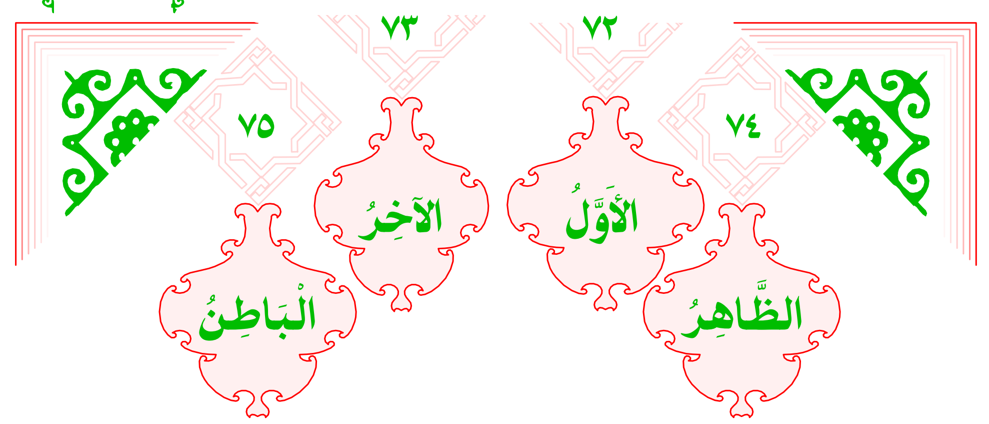
وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [طه].

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٤٢).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١١٥).
(٣) (١/ ٢٠٩).

ولما امتن النبي ﷺ على الأنصار بما حصل لهم من الإيمان والاجتماع والغنى، كان شعارهم (الله ورسوله أمن)؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبهِمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي**» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ»، قَالَ: «**مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ**». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ»، قَالَ: «**لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرءًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**»[١].



(١) أخرجه البخاري، ومسلم.



قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(١).

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»(٢).

قال ابن جرير رحمه الله: (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ حَدٍّ ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ يَقُولُ: وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ،

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري.

لِأَنَّهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ مَوْجُودٌ سِوَاهُ، وَهُوَ كَائِنٌ بَعْدَ فَنَاءِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨])(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَالْبَاطِنُ﴾ يَقُولُ: وَهُوَ الْبَاطِنُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦])(٢).

وقال أيضًا: (﴿وَالظَّاهِرُ﴾ يَقُولُ: وَهُوَ الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَهُوَ الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ)(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**» إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْجِهَةِ وَالتَّحَيُّزِ عَنِ اللَّهِ وَلَا وَصْفُهُ بِمَا يَسْتَلْزِمُ لُزُومًا بَيِّنًا نَفْيَ ذَلِكَ)(٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (والمنازع يسلم أنه موصوف بعلو المكانة وعلو القهر، وعلو المكانة معناه أنه أكمل من العالم، وعلو القهر مضمونه أنه قادر على العالم، فإذا كان مباينًا للعالم، كان من تمام علوِّه أن يكون فوق العالم، لا محاذيًا له، ولا سافلًا عنه، ولما كان العلو صفة كمال، كان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عاليًا عليه، لا يكون قط غير عالٍ عليه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٦).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٥).
(٤) الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٤٥).

كما ثبت في الحديث الذي في «صحيح مسلم» وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (... ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ فإنَّ الأولية لا تجامع الآخرية، ولهذا فسَّرها النبي ﷺ بقوله: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**». فأوليته وآخريته أبديته.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فإن ظهوره تعالى ثابت مع بطونه، فيجتمع في حقِّه الظهور والبطون، والنبي ﷺ فسَّر الظاهر بأنه الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وهذا العلو والفوقية مجامع لهذا القرب والدنو والإحاطة.

قلت: هذا سؤال حسن، والذي حسن دخول الواو هاهنا أن هذه الصفات متقابلة متضادة، وقد عطف الثاني منهما على الأول للمقابلة التي بينهما، والصفتان الأخريان كالأولين في المقابلة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة الآخر إلى الأول، فكما حسن العطف بين الأولين حسن بين الأخريين)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لأبي زميل سماك بن الوليد الحنفي، وَقَدْ سَأَلَهُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ لِي: مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/٧).
(٢) بدائع الفوائد (١/٢١٨).

مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]. قال: فقال لي: فإذا وجدت في نفسك شيئًا، فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]».

فَأَرْشَدَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى بُطْلَانِ التَّسَلْسُلِ الْبَاطِلِ بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ، وَأَنَّ سِلْسِلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي ابْتِدَائِهَا تَنْتَهِي إِلَى أَوَّل لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، كَمَا تَنْتَهِي فِي آخِرِهَا إِلَى آخِرٍ لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، كَمَا أَنَّ ظُهُورَهُ هُوَ الْعُلُوُّ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَبُطُونَهُ هُوَ الْإِحَاطَةُ الَّتِي لَا يَكُونُ دُونَهُ فِيهَا شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ قَبْلَهُ شَيْءٌ يَكُونُ مُؤَثِّرًا فِيهِ لَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الرَّبَّ الْخَلَّاقَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى خَالِقٍ غَيْرِ مَخْلُوقٍ وَغَنِيٍّ عَنْ غَيْرِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ. قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَوُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ بَاقٍ بِذَاتِهِ، وَبَقَاءُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ، فَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضا**: (وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] بِقَوْلِهِ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**» فَجَعَلَ كَمَالَ الظُّهُورِ مُوجِبًا لِكَمَالِ الْفَوْقِيَّةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ ظَاهِرٌ بِذَاتِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالظُّهُورُ هُنَا الْعُلُوُّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] أَيْ: يَعْلُوهُ، وَقَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: «**فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**» أَيْ: أَنْتَ فَوْقَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٢٢).

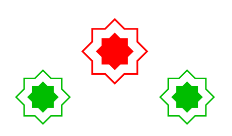
لَيْسَ لِهَذَا اللَّفْظِ مَعْنًى غَيْرُ ذَلِكَ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُحْمَلَ الظُّهُورُ عَلَى الْغَلَبَةِ لِأَنَّهُ قَابَلَهُ بِقَوْلِهِ: «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ».

فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْأَرْبَعَةُ مُتَقَابِلَةٌ: اسْمَانِ لِأَزَلِ الرَّبِّ تَعَالَى وَأَبَدِهِ، وَاسْمَانِ لِعُلُوِّهِ وَقُرْبِهِ)[1].

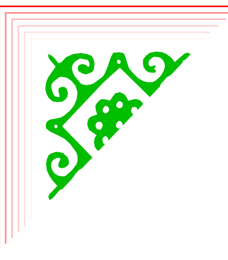
ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: يدلُّ على عظمة صفاته واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات، ويدلُّ على علوِّه)[2].

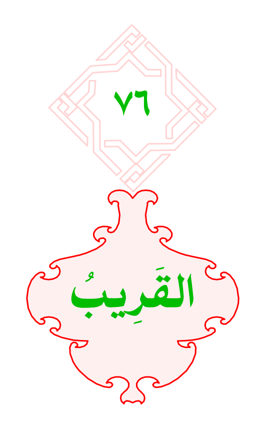
وقال أيضًا: (فـ ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

﴿وَٱلْآخِرُ﴾: يدل على أنه هو الغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألُّهها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها)[3].



(١) الصواعق المرسلة (١/ ٤٣٤).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٢٠).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٢٠).





القَرِيبُ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَة].

وقال ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هُود].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سَبَإ].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»(١).

وعن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الرَّبُّ ﷻ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ ﷻ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي، والحاكم، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا سَأَلَكَ يَا مُحَمَّدُ عِبَادِي عَنِّي أَيْنَ أَنَا؟ فَإِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ أَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ، وَأُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي مِنْهُمْ)[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولهذا كان مذهب السلف والأئمة أنه مع نزوله إلى سماء الدنيا لا يزال فوق العرش. لا يكون تحت المخلوقات، ولا تكون المخلوقات محيطة به قط؛ بل هو العلي الأعلى: العلي في دنوه، القريب في علوه)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة: . . ـ إلى أن قال ـ من النكت السرية البديعة جدًّا أنه دالٌّ على قرب صاحبه من الله، وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مَريَم]، فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه وأنه أقرب إليه من كل قريب وتصور ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه، ولم يتأتَّ له رفع الصوت به؛ بل يراه غير مستحسن كما أن من خاطب جليسًا له يسمع خفي كلامه فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه، ولله المثل الأعلى سبحانه. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال: «**اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]. وقد جاء أن سبب نزولها أن الصحابة قالوا: يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٢).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٧).

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء لا للنداء الذي هو رفع الصوت، فإنهم عن هذا سألوا فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريب لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلى النداء وإنما يُسأل مسألة القريب المناجى لا مسألة البعيد المنادى، وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص ليس قربًا عامًّا من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من عابده، وأقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد، وهو أخصُّ من قرب الإنابة وقرب الإجابة الذي لم يثبت أكثر المتكلمين سواه؛ بل هو قرب خاص من الداعي والعابد كما قال النبي ﷺ راويًا عن ربه تبارك وتعالى: «**من تقرَّب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا**»[(١)]. فهذا قربه من عابده وأما قربه من داعيه وسائله فكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وقوله: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] فيه الإشارة والإعلام بهذا القرب، وأما قربه تبارك وتعالى من مُحِبِه فنوع آخر، وبناء آخر، وشأن آخر، كما قد ذكرناه في كتاب التحف المكية، على أن العبارة تنبو عنه، ولا تحصل في القلب حقيقة معناه أبدا، لكن بحسب قوة المحبة وضعفها يكون تصديق العبد بهذا القرب، وإياك ثم إياك أن تعبر عنه بغير العبارة النبوية، أو يقع في قلبك غير معناها ومرادها فتزل قدم بعد ثبوتها، وقد ضعف تمييز خلائق في هذا المقام، وساء تعبيرهم فوقعوا في أنواع من الطامات والشطح، وقابلهم من غلط حجابه فأنكر محبة العبد لربه جملة وقربه منه، وأعاد ذلك إلى مجرد الثواب المخلوق، فهو عنده المحبوب القريب ليس إلا)[(٢)].

---

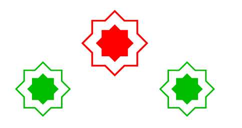
(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٧).

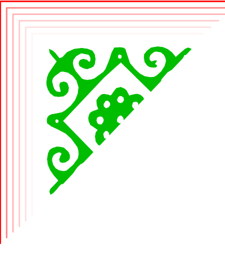
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[(١)]:

فيقول هل من سائل فأجيبه   فأنا القريب أجيب من ناداني

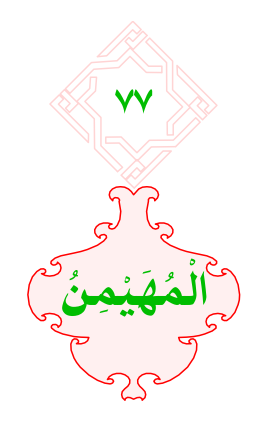
وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النّحل]، وَكَقَوْلِهِ لِمُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُخِيبُ دُعَاءَ دَاعٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ عَنْهُ شَيْءٌ؛ بَلْ هُوَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. وَفِيهِ تَرْغِيبٌ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ تعالى)[(٢)].



(١) (١/٣١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٠٦).



٧٧



الْمُهَيْمِنُ

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَشر].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ قائمًا على هذا المنبر - يعني منبر رسول الله ﷺ - وهو يحكي عن ربه عز وجل، فقال: «**إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة جمع السماوات السبع والأرضين السبع في قبضة، ثم يقول عز وجل: أنا الله، أنا الرحمن، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئًا، أنا الذي أعدتها، أين الملوك؟ أين الجبابرة؟**»[1].

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الأَمِينُ، القُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ)[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: (فَلَا يَشْهَدُ كَثْرَةَ دَلَالَاتِ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ عَلَى وَحْدَةِ ذَاتِهِ. فَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ،

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات.
(٢) علقه البخاري في صحيحه.

الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، وَكُلُّ اسْمٍ لَهُ صِفَةٌ، وَلِلصِّفَةِ حُكْمٌ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَاحِدُ الذَّاتِ، كَثِيرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَهَذِهِ كَثْرَةٌ فِي وَحْدَةٍ)(١).

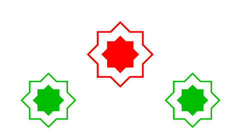
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته**(٢):

قد قال لم يزل المهيمن محسنًا ... بــرًّا جــوادًا عــنــد كــل أوانِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: أَيِ الشَّاهِدُ عَلَى خَلْقِهِ بِأَعْمَالِهِمْ، بِمَعْنَى: هُوَ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البُرُوج: ٩]، وَقَوْلِهِ ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يُونس: ٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرّعد: ٣٣] الْآيَةَ)(٣).

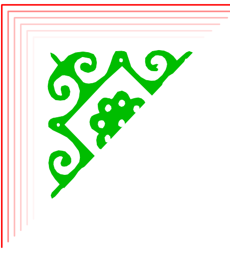
وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَصْلُ الْهَيْمَنَةِ: الْحِفْظُ وَالِارْتِقَابُ، يُقَالُ: إِذَا رَقَبَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ وَحَفِظَهُ وَشَهِدَهُ: قَدْ هَيْمَنَ فُلَانٌ عَلَيْهِ، فَهُوَ يُهَيْمِنُ هَيْمَنَةً وَهُوَ عَلَيْهِ مُهَيْمِنٌ، وَفِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: الْمُهَيْمِنُ، وَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالرَّقِيبُ: الْحَفِيظُ بِكُلِّ شَيْءٍ)(٤).

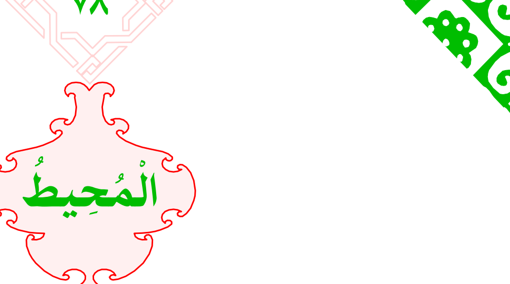
وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا)(٥).



---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧٨).
(٢) (١/ ٥٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٧).
(٥) تفسير السعدي (١/ ٩٤٧).





٧٨

الْمُحِيطُ

قال الله تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عِمرَان].

وقال تعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾ [النِّسَاء].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النِّسَاء].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾ [الأنفَال].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾ [هُود].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [فُصّلَت].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فُصّلَت: ٥٤]

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ مُحِيطٌ عِلْمًا بِجَمِيعِهِ، وَقُدْرَةً عَلَيْهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ أَرَادَهُ فَيَفُوتُهُ، وَلَكِنِ الْمُقْتَدِرُ عَلَيْهِ الْعَالِمُ بِمَكَانِهِ)[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (مع كون المحيط يحيط به غيره، فالعلي الأعلى المحيط بكلِّ شيء، الذي تكون الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، كيف يجب أن يكون تحت شيء مما هو عالٍ عليه أو محيط به، ويكون ذلك نقصًا ممتنعًا)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنه إذا كان سبحانه مباينًا للعالم فإما أن يكون محيطًا به أو لا يكون محيطًا به، فإن كان محيطًا به لزم علوُّه عليه قطعًا ضرورة علو المحيط على المحاط به، ولهذا لما كانت السماء محيطة بالأرض كانت عالية عليها، ولما كان الكرسي محيطًا بالسماوات كان عاليًا عليها، ولما كان العرش محيطًا بالكرسي كان عاليًا، فما كان محيطًا بجميع ذلك كان عاليًا عليه ضرورة، ولا يستلزم ذلك محايثته لشيء مما هو محيط به ولا مماثلته ومشابهته له، فإذا كانت السماء محيطة بالأرض وليست مماثلة لها فالتفاوت الذي بين العالم وربِّ العالم أعظم من التفاوت الذي بين الأرض والسماء وإن لم يكن محيطًا بالعالم بأن لا يكون العالم كرويًّا؛ بل تكون السماوات كالسقف المستوي، فهذا وإن كان خلاف الإجماع وخلاف ما دلَّ عليه العقل والحس فلو قال به قائل لزم أيضًا أن يكون الرب تعالى عاليًا على العالم لأنه إذا كان مباينًا وقدر أنه غير محيط فالمباينة تقتضي ضرورة أن يكون في العلو أو في جهة

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٣).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٤٠).

غيره، ومن المعلوم بالضرورة أن العلو أشرف بالذات من سائر الجهات، فوجب ضرورة اختصاص الرب بأشرف الأمرين وأعلاهما. والمعطلة تقول هذه القضية خطابية لا برهانية، ولعمر الله إنك لو سألت كل صحيح التمييز والفطرة عن ذلك لوجدت في فطرته أن الرب تعالى أولى وأحق)[١].

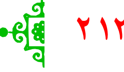
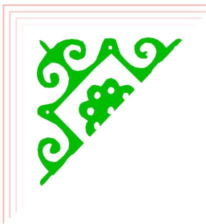
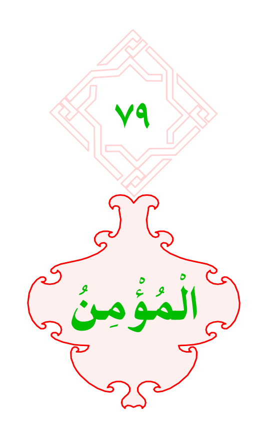
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (فَهُوَ سُبْحَانَهُ مُحِيطٌ بِالْعَوَالِمِ كُلِّهَا، فَأَيْنَمَا وَلَّى الْعَبْدُ فَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَقْبِلُهُ؛ بَلْ هَذَا شَأْنُ مَخْلُوقِهِ الْمُحِيطِ بِمَا دُونَهُ، فَإِنَّ كُلَّ خَطٍّ يَخْرُجُ مِنَ الْمَرْكَزِ إِلَى الْمُحِيطِ فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ وَجْهَ الْمُحِيطِ وَيُوَاجِهُهُ، وَالْمَرْكَزُ يَسْتَقْبِلُ وَجْهَ الْمُحِيطِ، وَإِذَا كَانَ عَالِي الْمَخْلُوقَاتِ الْمُحِيطُ يَسْتَقْبِلُ سَافِلَهَا الْمُحَاطَ بِهِ بِوَجْهِهِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَالْجَوَانِبِ، فَكَيْفَ بِشَأْنِ مَنْ هُوَ بِشَكْلِ شَيْءٍ مُحِيطٍ وَهُوَ مُحِيطٌ وَلَا يُحَاطُ بِهِ)[٢].

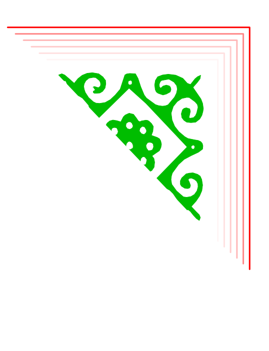
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في نونيته**[٣]:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سرٍّ ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان

وقال الشيخ السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: (وهو الّذي أحاط بكلّ شيء علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا، وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المُبْصَرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفدت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسّماوات، وقهر بعزّته كلّ مخلوق، ودانت له جميع الأشياء)[٤].

(١) الصواعق المرسلة (٤/١٣٠٨).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/٤١٧).
(٣) (١/٢٠٤).
(٤) تفسير السعدي (١/٢٠٦).



قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ قائمًا على هذا المنبر ـ يعني منبر رسول الله ﷺ ـ وهو يحكي عن ربه عز وجل، فقال: «إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة جمع السماوات السبع والأرضين السبع في قبضة، ثم يقول عز وجل: أنا الله، أنا الرحمن، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئًا، أنا الذي أعدتها، أين الملوك؟ أين الجبابرة؟»[(١)].

وقال مجاهد: (﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ الذي وحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾)[(٢)].

وقال ابن جرير رحمه الله: (﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: أي: الْمُصَدِّقُ لِرُسُلِهِ بِإِظْهَارِ

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات.
(٢) تفسير الطبري (١٨/٤٦).

مُعْجزَاتِهِ عَلَيْهِمْ، وَمُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَمُصَدِّقُ الْكَافِرِينَ مَا أَوْعَدَهُمْ مِنَ الْعِقَابِ. وَقِيلَ: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ الَّذِي يُؤْمِنُ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ عَذَابِهِ وَيُؤْمِنُ عِبَادَهُ مِنْ ظُلْمِهِ، يُقَالُ: آمَنَهُ مِنَ الْأَمَانِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْخَوْفِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ فَهُوَ مُؤْمِنٌ)[(١)].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضا**: (﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الْمُصَدِّقُ الْمُوقِنُ، آمَنَ النَّاسُ بِرَبِّهِمْ فَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَآمَنَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ لَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ: صَدَّقَهُمْ أَنْ يُسَمَّى بِذَلِكَ الِاسْمِ)[(٢)].

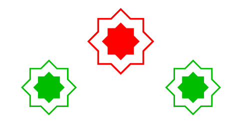
قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (هُوَ سُبْحَانَهُ اسْمُهُ ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ وَهُوَ فِي أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ: الْمُصَدِّقُ الَّذِي يُصَدِّقُ أَنْبِيَاءَهُ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ بِالدَّلَائِلِ الَّتِي دَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِ)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ وَهُوَ - فِي أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ - الْمُصَدِّقُ الَّذِي يُصَدِّقُ الصَّادِقِينَ بِمَا يُقِيمُ لَهُمْ مِنْ شَوَاهِدِ صِدْقِهِمْ، فَهُوَ الَّذِي صَدَّقَ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ فِيمَا بَلَّغُوا عَنْهُ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ بِالدَّلَائِلِ الَّتِي دَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِمْ قَضَاءً وَخَلْقًا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ - وَخَبَرُهُ الصِّدْقُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَرَى الْعِبَادُ مِنَ الْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ مَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْوَحْيَ الَّذِي بَلَّغَتْهُ رُسُلُهُ حَقٌّ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصّلَت: ٥٣] أَيِ الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فُصّلَت: ٥٢])[(٤)].

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٦).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٢).
(٣) الفتاوى (١٤/ ١٨٩).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٢).

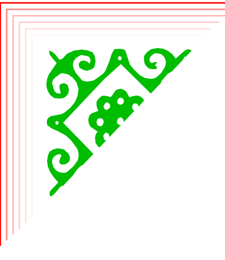
وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ أَمَّنَ خَلْقَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَمَّنَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ حَقٌّ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: صَدَّقَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيمَانِهِمْ بِهِ)(١).

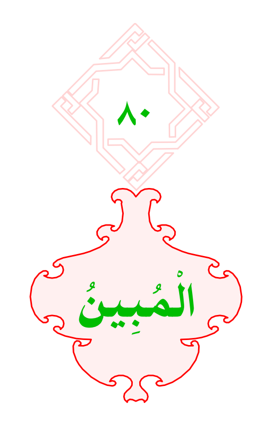
وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: أي المصدق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات)(٢).



(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٨).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٨٥٤).





قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ [النُّور: ٢٥].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النُّور: ٢٥] يَقُولُ: وَيَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يُبَيِّنُ لَهُمْ حَقَائِقَ مَا كَانَ يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، وَيَزُولُ حِينَئِذٍ الشَّكُّ فِيهِ عَنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا فِيمَا كَانَ يَعِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا يَمْتَرُونَ)(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَيْفَ يَكُونُ لِصِفَةِ شَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَوْ مُنْتَهًى يَعْرِفُهُ عَارِفٌ أَوْ يَحُدُّ قَدْرَهُ وَاصِفٌ، عَلَى أَنَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ لَا حَقَّ أَحَقُّ مِنْهُ وَلَا شَيْءَ أَبْيَنُ مِنْهُ)(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (ومنشأ الحق من معرفة الحق والمحبة له، والله هو الحق المبين، ومحبته أصل كلِّ عبادة، فلهذا كان أفضل الأمور على الإطلاق معرفة الله ومحبته)(٣).

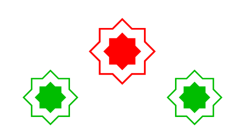
---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٢).
(٢) الفتاوى (٦/ ٤١٦).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٧٤).

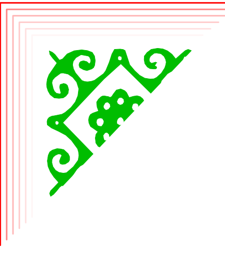
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كل شيء ما سوى الله باطل، وأَن الحق المبين هو الله وحده)[(١)].

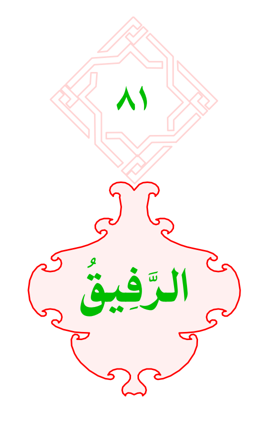
وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ أَيْ: وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ وَحِسَابُهُ هُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لا جور فيه)[(٢)].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩] ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحقُّ المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى)[(٣)].



(١) طريق الهجرتين (١/ ٤٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٢).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٥٦٣).





وهذا الاسم جاء في السُّنة، وهو بمعنى الودود والرحيم والرؤوف والحليم.

فعن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[1].

وفي رواية أخرى: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»[2].

قال ابن جرير رحمه الله: («الرَّقِيقُ الرَّفِيقُ» بِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحَمَهُ، وَالْبَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعَنِّفَ عَلَيْهِ ... ـ إلى أن قال: ـ جَعَلَ مَعْنَى الرَّحْمَنِ بِمَعْنَى الرَّقِيقِ عَلَى مَنْ رَقَّ عَلَيْهِ، وَمَعْنَى الرَّحِيمِ بِمَعْنَى الرَّفِيقِ بِمَنْ رَفَقَ بِهِ)[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: («الرَّفِيق» فَإِنَّهُ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَفِي الصَّحِيحِ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ

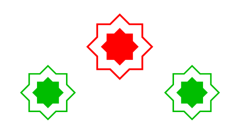
(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) تفسير الطبري (١/١٢٨).

يَكُنْ إِثْمًا» لِمَا فِيهِ مِنْ رُوحِ التَّعَبُّدِ بِاسْمِ: الرَّفِيقِ، اللَّطِيفِ وَإِجْمَامِ الْقَلْبِ بِهِ لِعُبُودِيَّةٍ أُخْرَى)[(١)].

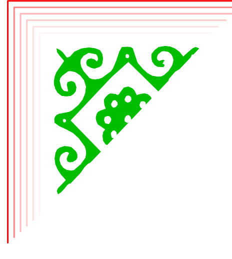
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[(٢)]:

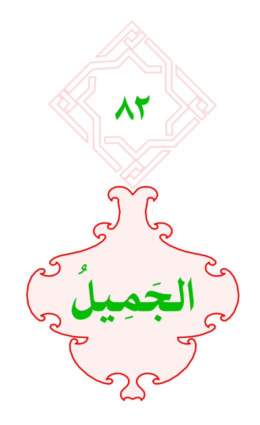
وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل   يعطيهم بالرفق فوق أمان

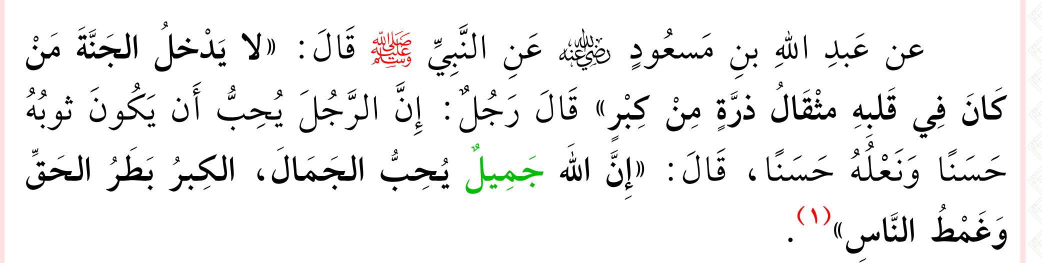
وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأعلى**»[(٣)].



(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٠).
(٢) (١/ ٢٨٠).
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.







عن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يَدْخلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلبِهِ مثْقَالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبْر**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَن يَكُونَ ثوبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(١)].

قَالَ ابنُ جَرير ﵀ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّحل: ٦٠]: (وَهُوَ الأَفضَلُ والأَطيَبُ وَالأَحسَنُ والأَجمَلُ، وذَلِكَ التَّوْحِيدُ وَالإِذعَانُ لَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيرُهُ)[(٢)].

وقال ابن القيم ﵀: (وهو سبحانه «الجميل» الذي لا أجمل منه؛ بل لو كان جمال الخلق كلهم على رجل واحد منهم وكانوا جميعهم بذلك الجمال لما كان لجمالهم قط نسبة إلى جمال الله؛ بل كانت النسبة أقل من نسبة سراج ضعيف إلى حذاء جرم الشمس ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّحل: ٦٠].

وقد روي عن النبي ﷺ قوله: «**إن الله جميل يحب الجمال**»)[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم.
البطر: التكبر على الحق فلا يقبله. والغمط: الاحتقار والاستهانة.

(٢) تفسير الطبري (١٤/٢٥٨).

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (١/٤١٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا:** (ومن أسمائه الحسنى «الجميل»؛ ومن أحقُّ بالجمال ممن كلُّ جمالٍ في الوجود فهو من آثار صنعه، فله جمال الذات وجمال الأوصاف وجمال الأفعال وجمال الأسماء، فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها جميلة، فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذ إلى شيء غيره)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا في نونيته**[(٢)]:

وَهُوَ الجَمِيلُ عَلَى الحَقِيقَةِ كَيفَ لَا ... وَجَمَالُ سَائِرِ هَذِهِ الأَكْوانِ

مِنْ بَعضِ آثَارِ الجَمِيلِ فربُّهَا ... أولَى وأَجْدَرُ عِندَ ذِي العِرْفانِ

فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ والأَوْصَافِ والـ ... أَفْعَالِ والأَسمَاءِ بِالبُرهَانِ

لَا شَيءَ يُشبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ ... سُبحَانَهُ عَنْ إفْكِ ذِي البُهْتَانِ

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولما حدَّث النبي ﷺ بهذا الحديث قال رجل: يا رسول الله! الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. يعني فهل هذا من الكبر؟ فقال النبي ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» جميل في ذاته، جميل في أفعاله، جميل في صفاته، كل ما يصدر عن الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه جميل وليس بقبيح؛ بل حسن، تستحسنه العقول السليمة، وتستسيغه النفوس.

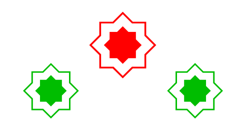
وقوله: «**يحب الجمال**» أي: يحب التجمل، يعني أنه يحب أن يتجمل الإنسان في ثيابه، وفي نعله، وفي بدنه، وفي جميع شؤونه؛ لأن التجمُّل يجذب القلوب إلى الإنسان، ويحببه إلى الناس، بخلاف التشوه

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (١/ ٤١٩).

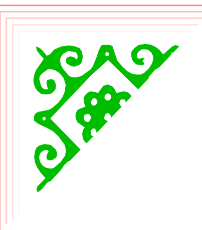
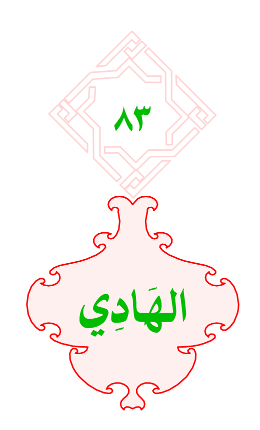
(٢) (١/ ٢٠٣).

الذي يكون فيه الإنسان قبيحًا في شعره أو في ثوبه أو في لباسه، فلهذا قال: «**إن الله** جميل **يحب الجمال**» أي يحب أن يتجمل الإنسان)[١].اهـ

وأكمل الجمال صلاح القلب وطهارته ونقاؤه وسلامته من أمراض الشبهات والشهوات، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة الجميل تعالى وتقدس، وكذلك جمال الأخلاق وصيانتها عن سفاسف الأقوال والأعمال.



(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٤٢).

٨٣

الهَادِي

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحَجّ].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣١].

وفي «الموطأ»: (عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْهَادِي)(١).

وقال ابن جرير رحمه الله: (﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحَجّ: ٥٤] وَإِنَّ اللَّهَ لَمُرْشِدُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْحَقِّ الْقَاصِدِ، وَالْحَقِّ الْوَاضِحِ)(٢).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣١] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ: وَكَفَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِرَبِّكَ هَادِيًا يَهْدِيكَ إِلَى الْحَقِّ، وَيُبَصِّرُكَ الرُّشْدَ)(٣).

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»، وقال الشيخ عبد القادر الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(٢) تفسير ابن جرير (١٦/ ٦١٣).
(٣) تفسير ابن جرير (١٧/ ٤٤٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْ أَسْمَائِهِ «الْهَادِي» وَقَدْ جَاءَ أَيْضًا الْبُرْهَانُ)(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (النُّور هُوَ الَّذِي نور قُلُوب الصَّادِقين بتوحيده وأسرار المحبين بتأييده وَأَحْيَا قُلُوب العارفين بِنور مَعْرفَته وَهَذَا هُوَ معنى «الْهَادِي»)(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (وهدايته ودلالته من مقتضى اسمه «الْهَادِي»)(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (إِذا قلت هاد أَو منور أَو غير ذَلِك فالمسمى نورًا هُوَ الرب نَفسه، لَيْسَ هُوَ النُّور الْمُضَاف إِلَيْهِ، فَإِذا قلت: هُوَ الْهَادِي فنوره الهدى جعلت أحد النورين عينًا قَائِمَة وَالْآخر صفة)(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالله «الْهَادِي»، وكتابه الهدى الذي يهدي به على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)(٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: (فعل العبد وهو الاهتداء وهو أثر فعله سبحانه فهو «الْهَادِي» والعبد المهتدي قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ﴾ [الكهف: ١٧])(٦).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («الْهَادِي»: أي الذي يهدي ويرشد

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٨).

(٢) دقائق التفسير (٢/ ٤٧١).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٩٩).

(٤) دقائق التفسير (٢/ ٤٧٨).

(٥) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٠).

(٦) شفاء العليل (١/ ٨٠).

عباده إلى جميع المنافع وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره»[١].

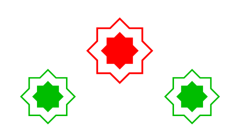
وقالت اللجنة الدائمة: الفتوى رقم (٣٥٣٨):

س: أنا اسمي هادي، والهادي الله ﷻ، فهل يجوز لي أن أبقى على هذا الاسم، أو أغيره إلى اسم آخر؟

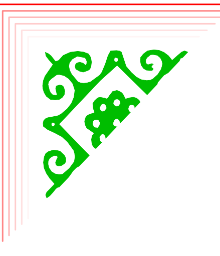
ج: إن بقيت على اسمك الأول فلا حرج؛ لأن لفظ الهادي اسم مشترك مطلق على الله وعلى غيره من الناس الذين يهدون غيرهم إلى ما ينفعهم، كالرسل، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرّعد: ٧]. ومن المعلوم بأن وصف الله سبحانه بأنه الهادي لا يشابه وصف المخلوقين، وإن غيرت اسمك إلى عبد الهادي فلا بأس بذلك شرعًا.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.



(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٨٧).





٨٤

الوَكِيلُ

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عِمران].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النِّساء].

وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هُود].

وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المُزّمل].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَد الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ» قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا»[١].

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣])(١).

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (أقبلتْ يهودُ إلى النبيِّ ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم نسألُك عن أشياءَ إن أجَبْتنا فيها اتَّبعناك وصدَّقناك وآمنَّا بك، قال: فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيلُ على نفسِه، قالوا: اللهُ على ما نقولُ وكيلٌ، قالوا: أخبِرْنا عن علامةِ النبيِّ. قال: «**تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه**» قالوا: فأخبِرْنا كيف تُؤَنَّثُ المرأةُ وكيف تُذكَّرُ؟ قال: «**يلتقي الماءانِ فإن علا ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ أُنِّثت، وإن علا ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ أُذكِرَتْ**» قالوا: صدقتَ، فأخبِرْنا عن الرَّعدِ، ما هو؟ قال: «**الرعدُ ملَكٌ من الملائكةِ مُوكَّلٌ بالسَّحابِ بيدَيه أو في يدِه مِخراقٌ من نارٍ يزجرُ به السحابَ والصوتُ الذي يُسمعُ منه زَجْرُهُ السَّحابَ إذا زجرَه حتى ينتهيَ إلى حيث أمرَه**»)(٢).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: (﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] يَعْنِي بِقَوْلِهِ: حَسْبُنَا اللَّهُ: كَفَانَا اللَّهُ، يَعْنِي: يَكْفِينَا اللَّهُ؛ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، يَقُولُ: وَنِعْمَ الْمَوْلَى لِمَنْ وَلِيَهُ وَكَفَلَهُ؛ وَإِنَّمَا وَصَفَ تَعَالَى نَفْسَهُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْوَكِيلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامُ بِأَمْرِ مَنْ أَسْنَدَ إِلَيْهِ الْقِيَامَ بِأَمْرِهِ؛ فَلَمَّا كَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ قَدْ كَانُوا فَوَّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَوَثِقُوا بِهِ، وَأَسْنَدُوا ذَلِكَ إِلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، والنسائي في «السنن الكبرى»، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الصحيحة.

وَصَفَ نَفْسَهُ بِقِيَامِهِ لَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَفْوِيضِهِمْ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ بِالْوِكَالَةِ، فَقَالَ: وَنِعْمَ الْوَكِيلُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ)[(١)].

وقال أيضًا في قوله تعالى: (﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] يَقُولُ: وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ رَقِيبٌ وَحَفِيظٌ، يَقُومُ بِأَرْزَاقِ جَمِيعِهِ وَأَقْوَاتِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ بِقُدْرَتِهِ)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّوَكُّلِ اعْتِمَادٌ عَلَى الْوَكِيلِ، وَقَدْ يَعْتَمِدُ الرَّجُلُ عَلَى وَكِيلِهِ مَعَ نَوْعِ اقْتِرَاحٍ عَلَيْهِ، وَإِرَادَةٍ وَشَائِبَةِ مُنَازَعَةٍ. فَإِذَا سَلَّمَ إِلَيْهِ زَالَ عَنْهُ ذَلِكَ، وَرَضِيَ بِمَا يَفْعَلُهُ وَكِيلُهُ. وَحَالُ الْمُفَوِّضِ فَوْقَ هَذَا. فَإِنَّهُ طَالِبٌ مُرِيدٌ مِمَّنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ، مُلْتَمِسٌ مِنْهُ أَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُ. فَهُوَ رِضًا وَاخْتِيَارٌ، وَتَسْلِيمٌ وَاعْتِمَادٌ، فَالتَّوَكُّلُ يَنْدَرِجُ فِي التَّسْلِيمِ، وَهُوَ وَالتَّسْلِيمُ يَنْدَرِجَانِ فِي التَّفْوِيضِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضا**: (فَإِنَّ الْوَكِيلَ مَنْ يَتَصَرَّفُ عَنْ مُوَكِّلِهِ بِطَرِيقِ النِّيَابَةِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَائِبَ لَهُ، وَلَا يَخْلُفُهُ أَحَدٌ؛ بَلْ هُوَ الَّذِي يَخْلُفُ عَبْدَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ**». عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُطْلَقَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِحِفْظِ مَا وَكَّلَهُ فِيهِ، وَرِعَايَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ.

وَأَمَّا تَوْكِيلُ الْعَبْدِ رَبَّهُ فَهُوَ تَفْوِيضُهُ إِلَيْهِ، وَعَزْلُ نَفْسِهِ عَنِ التَّصَرُّفِ، وَإِثْبَاتُهُ لِأَهْلِهِ وَوَلِيِّهِ. وَلِهَذَا قِيلَ فِي التَّوَكُّلِ: إِنَّهُ عَزْلُ النَّفْسِ عَنِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَقِيَامُهَا بِالْعُبُودِيَّةِ. وَهَذَا مَعْنَى كَوْنِ الرَّبِّ وَكِيلَ عَبْدِهِ؛ أَيْ كَافِيَهُ، وَالْقَائِمُ

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٥).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٥٩).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ١١٨).

بِأُمُورِهِ وَمَصَالِحِهِ؛ لِأَنَّهُ نَائِبُهُ فِي التَّصَرُّفِ. فَوِكَالَةُ الرَّبِّ عَبْدَهُ أَمْرٌ وَتَعَبُّدٌ وَإِحْسَانٌ لَهُ، وَخِلْعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِ، لَا عَنْ حَاجَةٍ مِنْهُ، وَافْتِقَارٍ إِلَيْهِ كَمُوَالَاتِهِ. وَأَمَّا تَوْكِيلُ الْعَبْدِ رَبَّهُ فَتَسْلِيمٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَقِيَامٌ بِعُبُودِيَّتِهِ)[١].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (﴿ٱلْوَكِيلُ﴾ المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسَّرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلًا كفاه ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧])[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (﴿ٱلْوَكِيلُ﴾ هو المراقب المتصرف، ولهذا يكون الإنسان متصرفًا في مَوْكِل أبيه مراقبًا له، ففي هذه الآية [يقصد قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾] من العموم ..، وفي هذه الآية كمال مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده لقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

فإن قال قائل: الوكيل عادةً أدنى رُتبةً من المُوَكِّل، فكيف نقول أنَّ الله وكيل؟

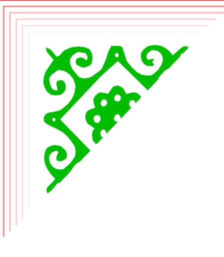
قلنا: الوكيل الذي هو عادةً أدنى رتبةً من المُوَكِّل هو الذي يتصرف للغير بأمر الغير.

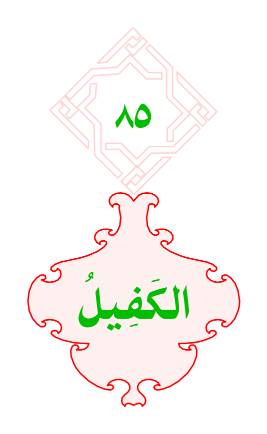
وكيلك أدنى منك مرتبةً لأنه يتصرف لك بأمرك فهو دونك، أمَّا الوكيل الذي بمعنى المُرَاقِب فمرتبته تكون أعلى من المراقب، لأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُراقِب جميع العباد ويحصي عليهم أعمالهم.

ففي الآية أيضًا كمال مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ وأنَّها فيها الكفاية عن كل مراقِب)[٣].

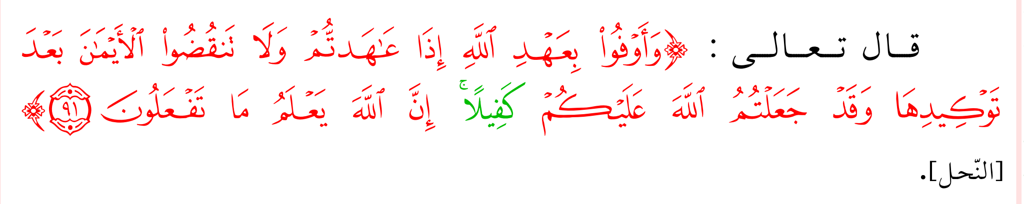
---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٦).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٤٧).
(٣) تفسير سورة النساء (٢/ ٣١٤).





٨٥
الكَفِيلُ



قـال تـعـالـى : ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النّحل].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا. فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا،

فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»[(١)].

و«الكفيل» بمعنى الوكيل والحفيظ والشهيد والضامن والكافي.

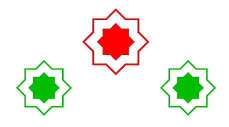
قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١] يَقُولُ: (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ بِالْوَفَاءِ بِمَا تَعَاقَدْتُمْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ رَاعِيًا يَرْعَى الْمُوفِي مِنْكُمْ بِعَهْدِ اللَّهِ الَّذِي عَاهَدَ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ وَالنَّاقِضَ).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته**[(٢)]:

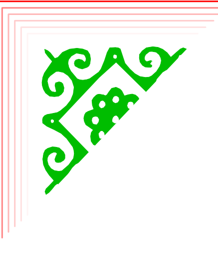
وهو الكفيل بكل ما يدعونه ... لا يعتري جدواه من نقصان

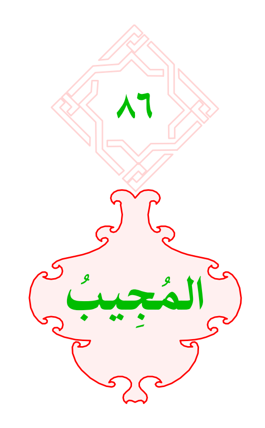
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته أيضًا**[(٣)]:

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـ ... ـلُ بحفظهم من كلِّ أمرٍ عان



(١) أخرجه البخاري.
(٢) (١/ ٣٠١).
(٣) (١/ ٢٠٧).





٨٦

المُجِيبُ

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هُود].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصَّافات].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَة].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النَّمل].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(١)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ يَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مِمَّنْ أَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي التَّوْبَةِ، مُجِيبٌ لَهُ إِذَا دَعَاهُ)[(٢)].

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) تفسير الطبري (١٢/٤٥٣).

وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن دعاه موقنًا أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه، وقد يكون مشركًا وفاسقًا، فإنه سبحانه هو القائل: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢] وهو القائل سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء] وهو القائل سبحانه ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام].

ولكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لإقرارهم بربوبيته، وأنه يجيب دعاء المضطر، إذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته، ولا مطيعين له ولرسوله، كان ما يعطيهم بدعائهم متاعًا في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق)[١].

وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: (في قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

بِالْوَجْهَيْنِ، قِيلَ: أُعْبُدُونِي وَامْتَثِلُوا أَمْرِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورى: ٢٦] أَيْ: يَسْتَجِيبُ لَهُمْ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ، يُقَالُ: اسْتَجَابَهُ وَاسْتَجَابَ لَهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ

وَقِيلَ: سَلُونِي أُعْطِكُمْ.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٥).

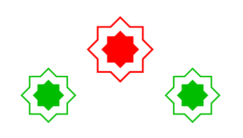
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[(٢)]:

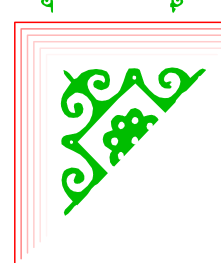
وهو المجيب يقول من يدعو أجبه ... فانا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر إذ ... يدعوه في سر وفي إعلان

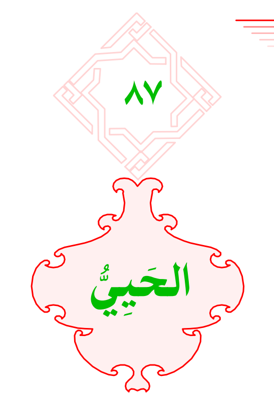
وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهو «المجيب» إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضًا للمضطرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعًا ورجاء وخوفًا)[(٣)].

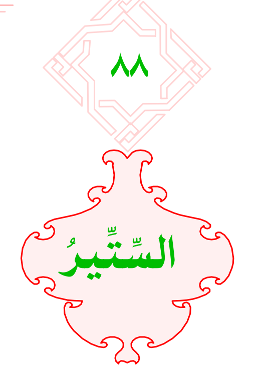
وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] وهذا النوع، قرب يقتضي إلطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن، باسمه «القريب» اسمه «المجيب»)[(٤)].



(١) الفتاوى (٥/ ٢١٩).
(٢) (١/ ٢٠٨).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٩٤٩).
(٤) تفسير السعدي (١/ ٣٨٤).







روى أبو داود، والنسائي، وأحمد عَنْ يَعْلَى بن أمية رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل حَيِيٌّ سَتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»[(١)].

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ، فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»[(٢)].

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[(٣)].

---

(١) وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود».
(٢) أخرجه البخاري، ومسلم.
(٣) أخرجه الترمذي واللفظ له، وأبو داود، وأحمد، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله سبحانه الحي القيوم، وقد وصف نفسه بالحياء ووصفه رسوله فهو الحيي الكريم كما قال النبي ﷺ: «**إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا**». وقالت أم سليم: يا رسول الله ﷺ إن الله لا يستحي من الحق وأقرها على ذلك وقال النبي ﷺ: «**إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن**»)(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحيم يحبُّ الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستِّير يحب من يستر على عباده، وعفوٌّ يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظَّ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبرٌّ يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا.

فمن عفا: عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة.

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٩٩).

فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه، ولهذا جاء في الحديث: «**من ستر مسلمًا ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه، ومن أقال نادمًا أقال الله تعالى عثرته، ومن أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه**»؛ لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر، ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء، مع عسرته وعجزه: نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (وَأَمَّا حَيَاءُ الرَّبِّ تَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ: فَذَاكَ نَوْعٌ آخَرُ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا تَكَيَّفُهُ الْعُقُولُ. فَإِنَّهُ حَيَاءُ كَرَمٍ وَبِرٍّ وَجُودٍ وَجَلَالٍ. فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ **يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا، وَيَسْتَحْيِي أَنْ يُعَذِّبَ ذَا شَيْبَةٍ شَابَتْ فِي الْإِسْلَامِ**)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في نونيته**[٣]:

وهو الحيي فليس يفضح عبده　　عند التجاهر منه بالعصيان

ولذلك اتصف الأنبياء بهذه الصفة العظيمة وكذلك اتصف بها الأصفياء من عباده.

فروى الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ موسى كَانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ**».

---

(١) الوابل الصيب (١/ ٣٥).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٠).
(٣) (٢/ ٢٠٧).

وعن أبي سعيد الخدري ﵁: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا)[(١)].

وقال النبي ﷺ في عثمان: «أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ»[(٢)].

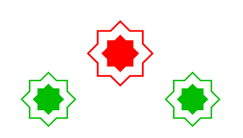
وقال عليه الصلاة والسلام: «الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ»[(٣)].

وقَالَ ﷺ: «الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ»[(٤)].

وقَالَ ﷺ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ». أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»[(٥)].

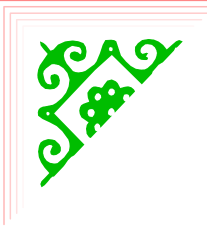
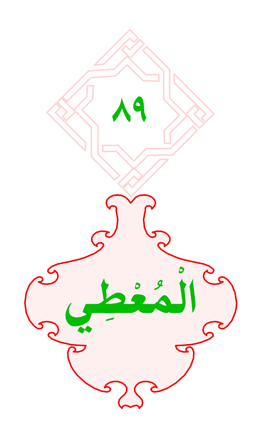
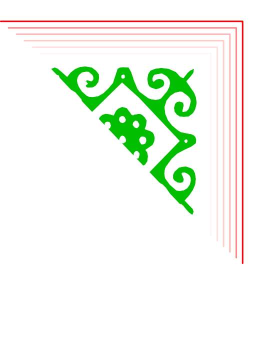
وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنْ الْإِيمَانِ»[(٦)].

وذم من لم يتصف به كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[(٧)].



---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) أخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البخاري.
(٧) أخرجه أحمد، والترمذي، وصححه الإمام الألباني ﵀.

٨٩
الْمُعْطِي

قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر].

وقوله ﷻ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ [ص].

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ»(١).

وكان النبي ﷺ يقول بعد السلام من الصلاة حينما ينصرف إلى الناس: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (صفة «الْمُعْطِي الْمَانِع»؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ يصرّف عباده بَين مُقْتَضى هذَيْن الاسمين، فحظ العَبْد الصَّادِق من عبوديته بهما

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

الشُّكْر عِنْد الْعَطاء والافتقار عِنْد الْمَنْع، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُعْطِيهِ ليشكره ويمنعه ليفتقر إِلَيْهِ فَلَا يزَال شكُورًا فَقِيرًا)[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (وَمن أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ «الْمُعْطِي»)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (وَفَرَحُهُ بِعَطَائِهِ وَجُودِهِ وَإِفْضَالِهِ أَشَدُّ مِنْ فَرَحِ الْآخِذِ بِمَا يُعْطَاهُ وَيَأْخُذُهُ، أَحْوَجُ مَا هُوَ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مَا كَانَ قَدْرًا، فَإِذَا اجْتَمَعَ شِدَّةُ الْحَاجَةِ وَعِظَمُ قَدْرِ الْعَطِيَّةِ وَالنَّفْعِ بِهَا، فَمَا الظَّنُّ بِفَرَحِ الْمُعْطِي؟ فَفَرَحُ الْمُعْطِي سُبْحَانَهُ بِعَطَائِهِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ فَرَحِ هَذَا بِمَا يَأْخُذُهُ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (وَاسْم «الْمُعْطِي» مِنْ وُجُودِ الْعَطَاءِ الَّذِي هُوَ مِدْرَارٌ لَا يَنْقَطِعُ لَحْظَةً وَاحِدَةً)[(٤)].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: («الْمُعْطِي، المانع»، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته)[(٥)].

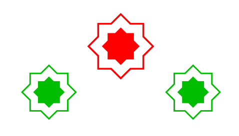
وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو سبحانه «المعطي المانع» فكم من سائل أعطاه سؤله، وكم من محتاج أعطاه سؤله، وكم من محتاج أعطاه حاجته ودفع ضرورته؛ وإنه تعالى ليستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، وكم منع سبحانه من بلاء انعقدت أسبابه فمنعه عن عباده

(١) الفوائد (١/ ٧٩).
(٢) (١/ ٤٦١).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٢٨).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣٣١).
(٥) تفسير السعدي (١/ ٩٤٨).

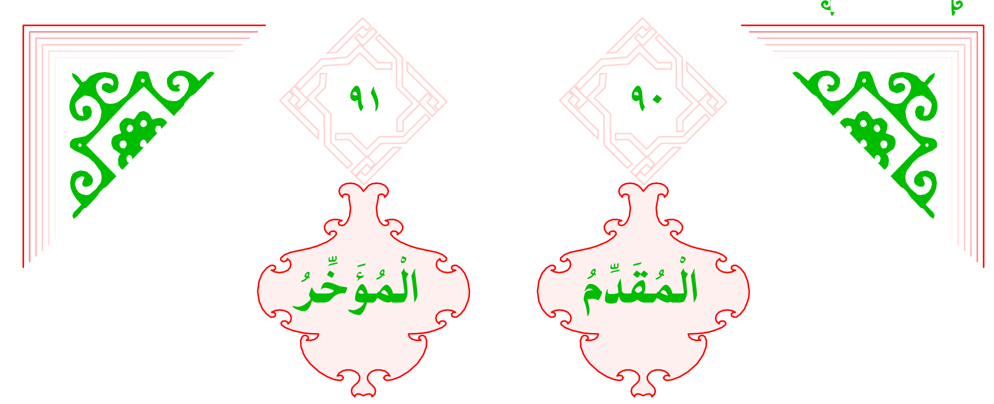
ودفعه عنهم، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وهو سبحانه الذي بيده النفع والضر، إن جاءك نفع فمن الله وإن حصل عليك ضر لم يكشفه سواه، ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمع الناس على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، فربك هو المدبر المتصرف بخلقه كما يشاء، فالجأ إليه عند الشدائد تجده قريبًا، وافزع إليه بالدعاء تجده مجيبًا، وإذا عملت سوءًا أو ظلمت نفسك فاستغفره تجده غفورًا رحيمًا)[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «**إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط**». يحتمل أن يكون المعطي هو الله، فيكون الإعطاء قدريًّا؛ أي: إن قدر الله له الرزق والعطاء رضي وانشرح صدره، وإن منع وحرم المال سخط بقلبه وقوله، كأن يقول: لماذا كنت فقيرًا وهذا غنيًّا؟ وما أشبه ذلك؛ فيكون ساخطًا على قضاء الله وقدره؛ لأن الله منعه. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعطي ويمنع لحكمة، ويعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب.

والواجب على المؤمن أن يرضى بقضاء الله وقدره؛ إن أُعْطِي شكر، وإن مُنِع صبر. ويحتمل أن يراد بالإعطاء هنا الإعطاء الشرعي؛ أي: إن أعطي من مال يستحقه من الأموال الشرعية رضي، وإن لم يعط سخط، وكلا المعنيين حق)[(٢)].



(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (١/٤٧).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/١٤٣).



هذان الاسمان ثبتا بأحاديث عن النبي ﷺ، لأن أسماء الله توقيفية، لا يثبت منها إلا ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ.

فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ» حتّى قال: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَوْ لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ».

وما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسَى رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وما رواه مسلم وغيره عن عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا

أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ».

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (والرب تعالى حكيم في أفعاله، وهو المقدم والمؤخر فما قدمه كان الكمال في تقديمه، وما أخره كان الكمال في تأخيره)[(١)].

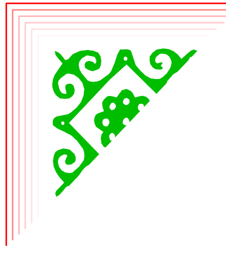
وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللهُ **في** «النّونيّة»[(٢)]:

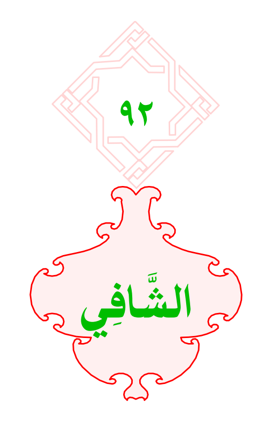
وهو المقدِّم والمؤخِّر، ذانِك الـ صّفتان للأفعال تابعتان
وهما صفات الذّات أيضًا إذ هما بالذّات لا بالغير قائمتان

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: («المقدم والمؤخر» من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر، فإن الكمال من اجتماعهما فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته. وهذا التقديم يكون كونيًّا كتقديم بعض المخلوقات على بعض وتأخير بعضها على بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها. وأنواع التقديم والتأخير في الخلق، والتقدير بحر لا ساحل له، ويكون شرعيًّا كما فضل الأنبياء على الخلق، وفضل بعضهم على بعض، وفضل بعض عباده على بعض، وقدمهم في العلم، والإيمان، والعمل، والأخلاق، وسائر الأوصاف، وأخر من أخر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته وهذان الوصفان وما أشبههما من الصفات الذاتية لكونهما قائمين بالله والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات ذواتها، وأفعالها، ومعانيها، وأوصافها، وهي ناشئة عن إرادة الله وقدرته، فهذا هو التقسيم الصحيح لصفات الباري)[(٣)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٠).
(٢) (٢/ ١٠٩).
(٣) الحق الواضح المبين (ص١٠٠).





قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشُّعَرَاء].

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عاد مريضًا يقول: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغادِرُ سَقمًا».

قال ابن تيمية رحمه الله: (وَاسْمُهُ: «الشَّافِي» كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «أَذْهِبْ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إلاَّ أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»)(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا». فَفِي هَذِهِ الرُّقْيَةِ تَوَسُّلٌ إِلَى اللَّهِ بِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ بِالشِّفَاءِ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الشَّافِي، وَأَنَّهُ لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ، فَتَضَمَّنَتِ التَّوَسُّلَ إِلَيْهِ بِتَوْحِيدِهِ وَإِحْسَانِهِ وربوبيته)(٢).

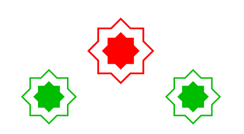
---

(١) الفتاوى (٢/ ٣٨٣).

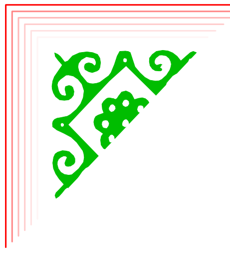
(٢) الطب النبوي (١/ ١٤٠).

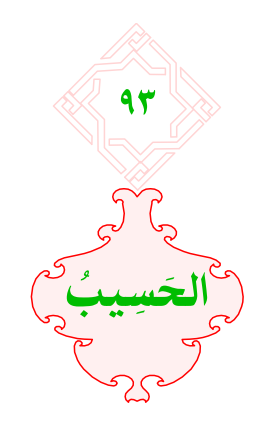
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا** : (وَمِنَ الْمَعْلُوم أَنَّ بَعْضَ الْكَلَام لَهُ خَوَاصُّ وَمَنَافِعُ مُجَرَّبَةٌ، فَمَا الظَّنُّ بِكَلَام رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي فَضْلُهُ عَلَى كُلِّ كَلَام كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّذِي هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ، وَالْعِصْمَةُ النَّافِعَةُ، وَالنُّورُ الْهَادِي، وَالرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ، الَّذِي لو أنزل ظل عَلَى جَبَلٍ لَتَصَدَّعَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالَتِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسرَاء: ٨٢])[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لا أعلم أن «الطبيب» من أسماء الله لكن «الشافي» من أسماء الله، وهو أبلغ من الطبيب لأن الطب قد يحصل به الشفاء، وقد لا يحصل)[٢].



(١) الطب النبوي (١/ ١٣١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٥).





قال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النِّسَاء]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النِّسَاء].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزَاب].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعَام].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبيَاء].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللَّهُ،**

وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا»[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿حَسِيبًا﴾ قَالَ: حَفِيظًا. ـ إلى أن قال ـ: وَأَصْلُ الْحَسِيبِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِنْدِي فَعِيلٌ مِنَ الْحِسَابِ الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَى الْإِحْصَاءِ، يُقَالُ مِنْهُ: حَاسَبْتُ فُلاَنًا عَلَى كَذَا وَكَذَا، وَفُلاَنٌ حَاسَبَهُ عَلَى كَذَا وَهُوَ حَسِيبُهُ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ صَاحِبَ حِسَابِهِ)[٢].

وقال ابن جرير الطبري أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النِّسَاء: ٦]: (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكَفَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِاللَّهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، وَمُحَاسِبًا لَهُمْ عَلَيْهَا)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته[٤]:

وهو الحسيب حماية وكفاية   والحسب كافي العبد كل أوان

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩] أَيْ: وَكَفَى بِاللَّهِ مُحَاسِبًا وَشَهِيدًا وَرَقِيبًا عَلَى الْأَوْلِيَاءِ فِي حَالِ نَظَرِهِمْ لِلْأَيْتَامِ، وَحَالِ تَسْلِيمِهِمْ لِلْأَمْوَالِ: هَلْ هِيَ كَامِلَةٌ مُوَفَّرَةٌ، أَوْ مَنْقُوصَةٌ مَبْخوسة مُدْخَلَةٌ مُرَوَّجٌ حِسَابُهَا مُدَلَّسٌ أُمرُهَا؟ اللَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهُ. وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَن على اثنين، ولا تَلِيَنَّ مال يتيم»)[٥].

---

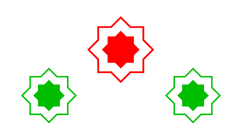
(١) أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٩).
(٣) تفسير الطبري (١٢١/١٩٦).
(٤) (١/ ٢١٠).
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٩).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: («الحسيب»: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

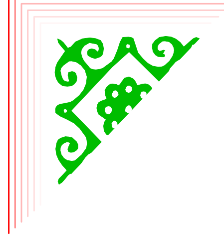
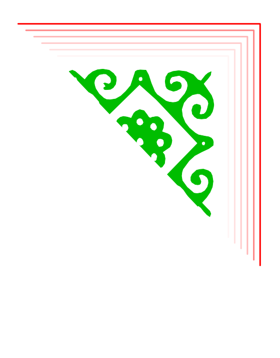
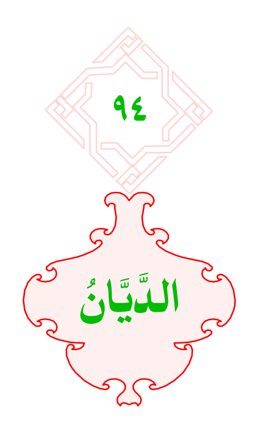
و«الحسيب» بمعنى الرقيب المحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه، وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلَاق: ٣] أي كافيه أمور دينه ودنياه.

و«الحسيب» أيضًا هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير، وشر، ويحاسبهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤] أي كافيك وكافي أتباعك، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به في متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى)(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النِّسَاء: ٨٦] فيحفظ على العباد أعمالهم، حسنها وسيئها، صغيرها وكبيرها، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود)(٢).



(١) (١/ ١٨٢).
(٢) تفسير السعدي (١/ ١٩١).

٩٤

الدَّيَّانُ

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ، يقولُ: بَلَغَني حديثٌ عن رَجُلٍ سَمِعَهُ من رسولِ الله ﷺ، فاشتريتُ بعيرًا ثُمَّ شدَدْتُ عليه رَحْلي، فسِرْتُ إليه شهرًا حتى قدمتُ عليه الشامَ، فإذا عبدُ الله بنُ أُنيس، فقُلْتُ للبَوَّابِ: قل له جابرٌ على الباب، فقال: ابنُ عبدِ الله؟ قلتُ: نَعَمْ، فخرج يَطأُ ثوبَهُ فاعتَنَقَني واعتَنَقْتُه، فقلتُ: حديثًا بلغني عَنْك أنَّك سمعْتَهُ مِنْ رسولِ الله ﷺ فِي القِصاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تموتَ أو أَموتَ قَبْلَ أَنْ أسمَعَهُ، قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**يُحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ**، ـ أو قال: **العبادُ** ـ، **عُراةً غُرْلاً بُهْمًا**»، قال: قُلنا: وما بُهْمًا؟ قال: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كما يَسمعُه مَنْ قَرُبَ: أنا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلاَ يَنْبَغِي لِأَحدٍ مِنْ أهلِ النَّارِ أنْ يدخلَ النارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، ولا يَنْبَغِي لِأَحدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حتى أقُصَّه مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةَ**»، قلنا: كيف، وإنَّا إنما نأتي الله ﷻ عُراةً غُرلًا بُهْمًا؟ قال: «**بالحَسَناتِ والسَّيئاتِ**»[(١)].

وقال البخاري في صحيحه: (وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) أخرجه أحمد، وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إسناده حسن.

أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ». ووصله في «أفعال العباد»، وفي «الأدب المفرد». بدون إثبات «الديان» ولفظه: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، لاَ يَنْبَغِي لِأَحدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، وَلاَ يَنْبَغِي لِأَحدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ»[١].

وعن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (ويلٌ لديَّانِ الأرضِ مِن ديَّانِ السَّماءِ يومَ يلقونَهُ، إلَّا من أمَرَ بالعدلِ، فقَضى بالحقِّ، ولم يَقضِ علَى هوًى، ولا علَى قرابةٍ، ولا علَى رَغبةٍ، ولا رَهَبٍ، وجعلَ كتابَ اللَّهِ مِرآةً بينَ عينيهِ). قالَ ابنُ غنيم: فحدّثتُ بهذا عثمانَ ومعاويةَ، ويزيدَ، وعبدَ الملِكِ[٢].

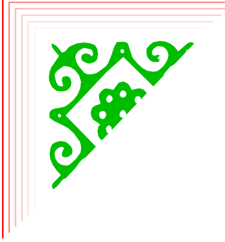
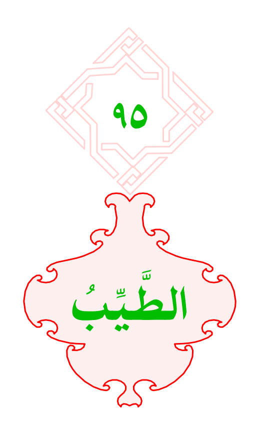
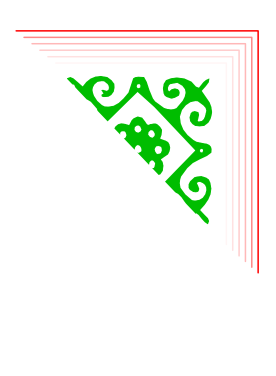
وقال ابن القيم رحمه الله: («**فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**». وَمَقْصُودُهُ أَنَّ هَذَا النِّدَاءَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا فَإِنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ. فَالْمُنَادِي بِذَلِكَ هُوَ اللَّهُ عز وجل الْقَائِلُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ)[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله **في نونيته أيضًا**[٤]:

والرب ليس لفعله من مانع ... ما شاء كان بقدرة الديان

---

(١) وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد».
(٢) مختصر العلو للذهبي، وقال الإمام الألباني رحمه الله: صحيح.
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٤٠).
(٤) (١/ ٥٩).

٩٥
الطَّيِّبُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]». ثُمَّ ذَكَرَ «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

قال ابن القيم ﵀: (وكذلك قوله: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فهي صفة الموصوف المحذوف، أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء؛ لله وحده، فهو طيب، وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه الطيب، لا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، فكلِمه طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، صادرة عنه، ومنتهية إليه، قال النبي: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا»)[١].

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها (١/١٥١).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ**» كلمة طيب بمعنى طاهر منزّه عن النقائص، لا يعتريه الخبث بأي حال من الأحوال، فهو عَزَّ وَجَلَّ طيب في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أحكامه، وفي أفعاله، وفي كل ما يصدر منه، وليس فيها رديء بأي وجه.

«**لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا**» فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يقبل إلا الطيب من الأقوال، والأعمال وغيرها، وكل رديء فهو مردودٌ عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يقبل الله إلا الطيب.

فالطّيب من الأعمال: ما كان خالصًا لله، موافقًا للشريعة.

والطيب من الأموال: ما اكتسب عن طريق حلال، وأما ما اكتسب عن طريق محرّم فإنه خبيث. «وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين» تَعْلِيَةً لشأن المؤمنين، وأنهم أهلٌ أن يوجّه إليهم ما أمر به الرسل، فقال عَزَّ وَجَلَّ في أمر المرسلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] فأمر الرسل أن يأكلوا من الطيبات وهي التي أحلها الله عَزَّ وَجَلَّ، واكتسبت عن طريق شرعي)[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ **أيضًا**: (فإن لم يحلّها الله كالخمر فإنه لا يؤكل، وإن أحلَّه الله ولكن اكتسب عن طريق محرّم فإنه لا يؤكل، وأضرب لذلك مثَلين:

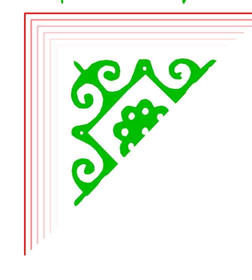
الأول: رجل أكل من شاة ميتة، فهذا لم يأكل من الطيبات، لأن الله تعالى حرّم أكل الميتة. وهذا محرّم لذاته.

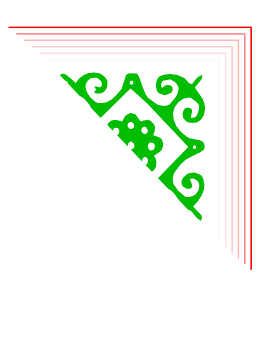
الثاني: رجل غصب شاة وذبحها وأكل منها، فحكمها أنها ليست بطيبة وهي محرّمة لكسبها)[(٢)].

---

(١) التلخيص المعين على شرح الأربعين (١/ ٧٠).

(٢) شرح الأربعين النووية (١/ ١٤٢).



قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [الجُمُعَة].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ㉓﴾ [الحَشر].

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ»(١).

وكان النبيُّ ﷺ يسبح الله به بعد فراغه من صلاة الوتر، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الأُولَى بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَيَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، وَلَا يُسَلِّمُ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ)(٢).

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: وَهُوَ الطَّاهِرُ مِنْ كُلِّ مَا يُضِيفُ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ، وَيَصِفُونَهُ بِهِ مِمَّا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ الْمُبَارَكَة)[١].

وقال ابن جرير أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]: (﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُنَزِّهُكَ وَنُبَرِّئُكَ مِمَّا يُضِيفُهُ إِلَيْكَ أَهْلُ الشِّرْكِ بِكَ، وَنُصَلِّي لَكَ. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نَنْسُبُكَ إِلَى مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِكَ مِنَ الطَّهَارَةِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَمَا أَضَاف إِلَيْكَ أَهْلُ الْكُفْرِ بِكَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَقْدِيسَ الْمَلَائِكَةِ لِرَبِّهَا صَلَاتُهَا لَهُ)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك فإن منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر، فـ ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: المنزَّه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في نونيته**[٤]:

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن

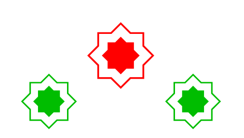
وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى (﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾؛ أَي: الْمُنَزَّهِ عَنِ النَّقَائِصِ، الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ)[٥].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: المعظم، المنزه عن كل آفة ونقص)[٦].

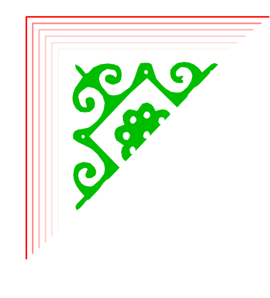
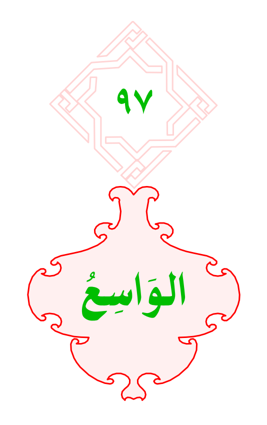
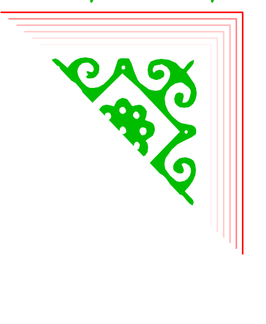
---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢٥).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٠٥).
(٣) شفاء العليل (١/ ١٧٩).
(٤) (١/ ٢١٠).
(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٥).
(٦) تفسير السعدي (١/ ٨٦٢).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا** : (ومن أسمائه «القدوس السلام»، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] فـ ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله، فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان ومن كل ما ينافي كماله. فهذا ضابط ما ينزه عنه، ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثيل أو شبيه أو كفو أو سمي أو ندّ أو مضاد، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها)(١).



(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/٢٠٨).

٩٧

الوَاسِعُ

قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١١٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٨].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ٧٣].

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المَائدة: ٥٤].

وقوله سبحانه: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٣٢].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ [النَّجم: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النِّسَاء].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يَعْنِي

جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٰسِعٌ﴾ يَسَعُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكِفَايَةِ وَالْأَفْضَالِ وَالْجُودِ وَالتَّدْبِيرِ)[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النّحل: ٧٥] «ومن رزقناه»: جعله مثلًا يستدل به على توحيده وكمال ربوبيته، لأنه الواسع الجواد القادر الرازق للعباد سرًّا وجهرًا)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد، فالحميد الحبيب المستحق لجميع صفات الكمال والمجيد العظيم الواسع القادر الغني ذو الجلال والإكرام)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾: ـ إلى أن قال: ـ ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما «الواسع العليم» فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطفه، فإن المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته؛ بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه)[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٦٠).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٥٢٨).
(٣) التبيان في أقسام القرآن (١/ ٩٤).
(٤) التفسير القيم (١/ ١٥٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (أَخْبَرَ أَنَّ لَهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَأَيْنَمَا يُوَلِّي عِبَادُهُ وُجُوهَهُمْ فَثَمَّ وَجْهُهُ، وَهُوَ الْوَاسِعُ الْعَلِيمُ، فَلِعَظَمَتِهِ وَسِعَتِهِ وَإِحَاطَتِهِ أَيْنَمَا يُوَجِّهُ الْعَبْدُ، فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)(١).

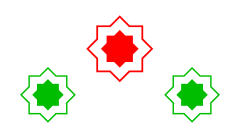
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته(٢):

من ذاك يسألني فأغفر ذنبه   فأنا الودود الواسع الغفران

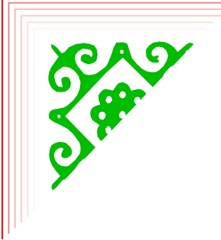
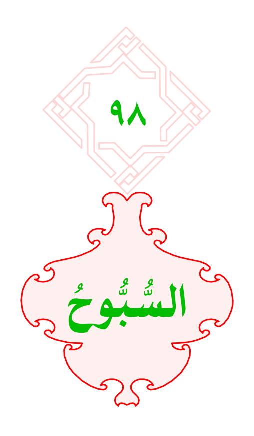
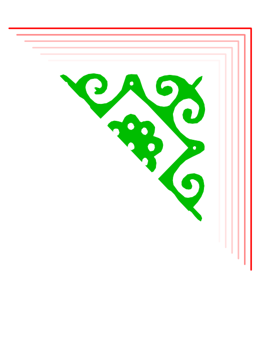
وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: («الواسع» الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه: واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم)(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي ذو سعة في جميع صفاته؛ واسع في علمه، وفضله، وكرمه، وقدرته، وقوته، وإحاطته بكل شيء، وجميع صفاته)(٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: (أي ذو سعة في جميع صفاته؛ فهو واسع العلم، والقدرة، والرحمة، والمغفرة، وغير ذلك من صفاته؛ فإنها صفات واسعة عظيمة عليا)(٥).



(١) زاد المعاد (٣/ ٦١).
(٢) (١/ ٧٨).
(٣) تفسير السعدي (١/ ٩٤٩).
(٤) التفسير وأصوله (٥/ ١٦٦).
(٥) التفسير وأصوله (٥/ ٢٤٤).

٩٨
السُّبُّوحُ

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: (وَمِنْ أَسْمَائِهِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ اسْمُهُ: «السُّبُّوحُ». وَفِي الْحَدِيثِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ»)[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله **أيضًا**: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ «سبوح قدوس» يسبح لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض، وَ«سُبْحَان الله» كلمة كَمَا قَالَ مَيْمُون بن مهْرَان: هِيَ كلمة يعظم بهَا الرب ويحاشى بهَا من السوء)[(٣)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (ومجموع ما ينزّه عنه شيئان:

أحدهما: أنَّه منزّه عن كلِّ ما ينافي صفات كماله، فإنَّ له المنتهى في كلِّ صفة كمال، فهو موصوف بكمال العلم وكمال القدرة، منزّه عما ينافي ذلك من النسيان والغفلة، وأن يعزب عنه مثقال ذرة في السموات

(١) أخرجه مسلم.
(٢) الفتاوى (٢/ ٣٨٣).
(٣) الرسائل لابن تيمية (١/ ١٢٩).

والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ومنزّه عن العجز والتعب والإعياء واللغوب، وموصوف بكمال الحياة والقيُّومية، منزّه عن ضدها من الموت والسِّنة والنوم، وموصوف بالعدل والغنى التام، منزّه عن الظلم والحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وموصوف بكمال الحكمة والرحمة، منزّه عن ما يضاد ذلك من العبث والسفه، وأن يفعل أو يشرع ما ينافي الحكمة والرحمة.

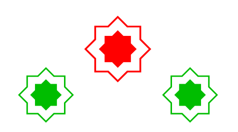
وهكذا جميع صفاته منزّه عن كلِّ ما ينافيها ويضادها.

الثاني: أنَّه منزّه عن مماثلة أحد من خلقه، أو أن يكون له نِدٌّ بوجه من الوجوه. فالمخلوقات كلُّها وإن عظمت وشرفت وبلغت المنتهى الذي يليق بها من العظمة والكمال اللائق بها، فليس شيء منها يقارب أو يشابه الباري؛ بل جميع أوصافها تضمحل إذا نسبت إلى صفات باريها وخالقها؛ بل جميع ما فيها من المعاني والنعوت والكمال، هو الذي أعطاها إياه، فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار والقوى الظاهرة والباطنة، وهو الذي علَّمها وألهمها، وهو الذي نمَّاها ظاهرًا وباطنًا وكمَّلها، قالت الرسل والملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾.

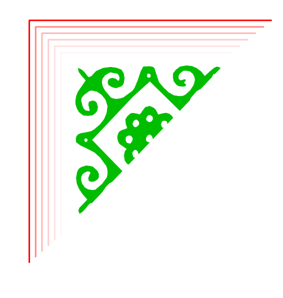
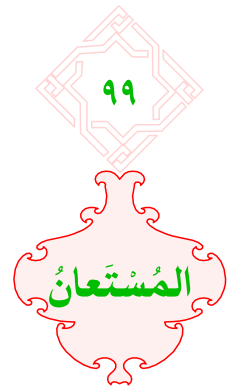
وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**يا عبادي كلُّكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي كلُّكم جائع إلا من أطعمته**..» إلى آخر الحديث، فهو المنزّه عن كلِّ ما ينافي صفات المجد والعظمة والكمال، وهو المنزّه عن الضد والندِّ والكفء والأمثال، وذلك داخل في اسمه: القدوس السلام)[١].

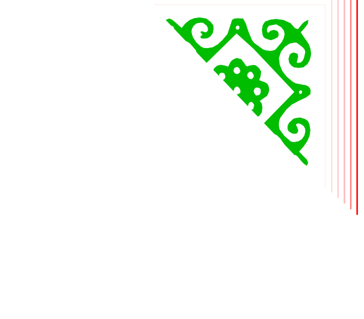
(١) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد (١/ ٣٤).

وقال **الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**» يعني أنت سبوح قدوس، وهذه مبالغة في التنزيه وأنه جل وعلا سبوح قدوس رب الملائكة وهم جند الله عَزَّ وَجَلَّ عالم لا نشاهدهم، وأما الروح فهو جبريل وهو أفضل الملائكة، فينبغي للإنسان أن يكثر في ركوعه وسجوده من قوله: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» تأسيًا برسول الله ﷺ، وأن يقول كذلك في ركوعه وسجوده: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»)[1].



(١) شرح رياض الصالحين (١/ ١٦٣١).



قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: (سَأَلْتُ أُمَّ رُومَانَ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ، عَمَّا قِيلَ فِيهَا مَا قِيلَ، قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عَائِشَةَ جَالِسَتَانِ، إِذْ وَلَجَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهِيَ تَقُولُ: فَعَلَ اللَّهُ بِفُلَانٍ وَفَعَلَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لِمَ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ نَمَى ذِكْرَ الحَدِيثِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَيُّ حَدِيثٍ؟ فَأَخْبَرَتْهَا. قَالَتْ: فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لِهَذِهِ؟**» قُلْتُ: حُمَّى أَخَذَتْهَا مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ تُحُدِّثَ بِهِ، فَقَعَدَتْ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَئِنْ حَلَفْتُ لَا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَذَرْتُ لَا تَعْذِرُونِي، فَمَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ، فَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَا أَنْزَلَ، فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ: بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِ أَحَدٍ)[١].

---

(١) أخرجه البخاري.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه: (أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ عُودٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَفْتِحُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَذَهَبْتُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَإِذَا عُمَرُ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ، أَوْ تَكُونُ**»، فَذَهَبْتُ فَإِذَا عُثْمَانُ، فَقُمْتُ فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ، قَالَ: اللَّهُ المُسْتَعَانُ)(١).

قال ابن القيم رحمه الله: (إِثْبَاتُ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ لَهُمْ، وَنِسْبَتُهَا إِلَيْهِمْ، بِقَوْلِهِمْ: «نَعْبُدُ، وَنَسْتَعِينُ»، وَهِيَ نِسْبَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لَا مَجَازِيَّةٌ، وَاللَّهُ لَا يَصِحُّ وَصْفُهُ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَفْعَالِ عَبِيدِهِ، بَلِ الْعَبْدُ حَقِيقَةً هُوَ الْعَابِدُ الْمُسْتَعِينُ، وَاللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمُسْتَعَانُ بِهِ)(٢).

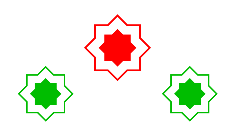
وقال ابن القيم رحمه الله **أيضًا**: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة]: عِلْمًا وَحَالًا، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ)(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله **أيضًا**: (﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَشُهُودُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَيْهِ، وَمَرْتَبَتَهُ وَمَنْزِلَتَهُ، وَمَحَلَّهُ مِنَ النَّفْعِ وَالضُّرِّ، وَبِدَايَتَهُ وَعَاقِبَتَهُ، وَاتِّصَالَهُ ـ بَلْ وَانْفِصَالَهُ ـ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الِاتِّصَالِ وَالِانْفِصَالِ، وَيَشْهَدُ ـ مَعَ ذَلِكَ ـ فَقْرَ الْمُسْتَعِينِ وَحَاجَتَهُ وَنَقْصَهُ، وَضَرُورَتَهُ إِلَى كَمَالَاتِهِ الَّتِي يَسْتَعِينُ رَبَّهُ فِي تَحْصِيلِهَا، وَآفَاتِهِ الَّتِي يَسْتَعِينُ رَبَّهُ فِي دَفْعِهَا. وَيَشْهَدُ

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.
(٢) مدارج السالكين (١/ ٨٨).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٢١٨).

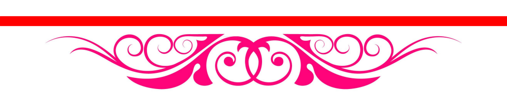
حَقِيقَةَ الِاسْتِعَانَةِ وَكِفَايَةَ الْمُسْتَعَانِ بِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ فَرْقٌ يُثْمِرُ عُبُودِيَّةَ هَذَا الْمَشْهَدِ)[(١)].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] أي: نسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفون، من قولكم سنظهر عليكم، وسيضمحل دينكم، فنحن في هذا لا نعجب بأنفسنا، ولا نتكل على حولنا وقوتنا، وإنما نستعين بالرحمن، الذي ناصية كل مخلوق بيده، ونرجوه أن يتم ما استعنّاه به من رحمته، وقد فعل، ولله الحمد)[(٢)].



(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٥٣٢).

خاتمة أسماء الله الحسنى



روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إِلاَّ وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

ورواه الترمذي وزاد: «**إِنَّ للّهِ تِسْعَة وتِسعِينَ اسمًا، مَن أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ الله الَّذي لا إِلهَ إلا هو: الرَّحْمنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المُؤمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِئُ، المُصَوِّرُ، الغفَّارُ، القَهَّارُ، الوهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَليمُ، القابضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البصيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبيرُ، الحليمُ، العَظيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَليُّ، الكَبيرُ، الحَفِيظُ، المُقيتُ، الحَسِيبُ، الجَليلُ، الكرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجيبُ، الْوَاسِعُ، الحَكيمُ، الْوَدُودُ، المَجيدُ، البَاعِثُ، الشَّهيدُ، الحَقُّ، الْوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الْوَلِيُّ، الحَميدُ، المُحصِي، المُبدِئُ، المُعيدُ، المُحْيي، المُميتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الماجد، الوَاحِدُ، الأحَدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤخِّر، الأوَّلُ، الآخرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوالي، المُتعالِ، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُو الجَلالِ والإِكرَام، المُقْسِطُ، الجَامِعُ، الغَنيُّ المُغني، المَانِعُ، الضَّارُ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادي، البَديعُ، البَاقي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ**»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي، وضعفه الإمام الألباني رحمه الله.

وهذا الحديث لا يدلُّ على حصر أسماء الله في هذا العدد؛ بل له من الأسماء والصفات ونعوت الجلال ما لا يعلمه إلا هو، ويدل على عدم انحصارها في هذا العدد؛ الحديث الذي رواه الإمام أحمد والحاكم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد إذا أصابه هم أو حزن: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُ هؤلاء الكلمات؟ قَالَ: «أَجَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهن»)[١].

وكذلك حديث الشفاعة الذي قال فيه النبي ﷺ: «... فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ...»[٢].

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، والحاكم، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.

ولذلك عدَّ العلماء من أسمائه سبحانه:

«الوارث»؛ لقوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحِجر: ٢٣].

«والوتر»؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّ اَللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ اَلْوِتْرَ»[(١)].

«والطبيب»؛ لحديث: «اللَّهُ الطَّبِيبُ»[(٢)].

«والكافي»؛ لقوله سبحانه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ١٣٧].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

«والمحسن»؛ لحديث: «إِنَّ الله مُحْسِنٌ»[(٣)].

«والمقيت»؛ لقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النِّسَاء: ٨٥].

«والمسعر»؛ لحديث: «إِنَّ اَللَّهَ هُوَ اَلْمُسَعِّرُ»[(٤)].

«والعالم»؛ لقوله سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ٢٦].

«والغالب»؛ لقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يُوسُف: ٢١].

وغيرها.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفَجر] قَالَ: الشَّفْعُ: الزَّوْجُ، وَالْوَتْرُ: اللَّهُ)[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، والطبراني في المعجم الكبير، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح الجامع.
(٤) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المشكاة.
(٥) تفسير الطبري (٢٤/٣٥١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**» وَلَيْسَ هَذَا الِاسْمُ فِي هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ. وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**». وَلَيْسَ هُوَ فِيهَا. وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ**» وَلَيْسَ هَذَا فِيهَا. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا**» وَلَيْسَ هَذَا فِيهَا، وَتَتَبُّعُ هَذَا يَطُولُ)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (من اقتضاء أسماء الله الحسنى لمسمياتها ومتعلقاتها كالغفور الرحيم التواب العفو المنتقم الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت الوارث ولا بد من ظهور أثر هذه الأسماء)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: (أنه سبحانه يحب صفاته كما قال النبي ﷺ: «**اللهم إنك عفو تحب العفو**» وقال: «**إن الله جميل يحب الجمال**»، «**وإن الله نظيف يحب النظافة**»، «**وإن الله وتر يحب الوتر**»، «**وإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**» وروي: «**إني عليم أحب كل عليم**» وإذا كان يحب صفاته وهي قائمة بذاته فكيف بمحبته لذاته)[٣].

وفي الختام.. نسأل الله العظيم، باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا وهدى، وصلَّى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) الفتاوى (٢/ ٢٨١).
(٢) شفاء العليل (١/ ٢٤٢).
(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٥٨).





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

